

روايات **نصار** عالمية

القصص والروايات القصيرة

إنست همنجواي

رجال بلا نساء

ترجمة: سمير عزت نصار



الأكاديمية

علي مولا

2

المجموعة الثانية

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية

2

المجموعة الثانية

رجال بلا نساء



الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان
وسط البلد ، خلف مطعم القدس
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ ، فاكس ٤٦٥٧٤٤٥
ص. ب. ٧٧٧٢ عمان/ الأردن

ارنست همنجواي

رجال بلا نساء

ترجمة : سمير عزّت نصّار

الطبعة العربية الأولى ، ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف : سيماء سيّدي®

الصف الضوئي : الوسام للخدمات المطبعية ، عمّان ، هاتف ٤٦٥٧٨٦٩

*All rights reserved. No part of this book may be reproduced
in any form or by any means without the prior permission of
the publisher.*

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أيّ جزء منه ، بأيّ شك من الأشكال ، إلا بإذن خطّي مسبق من الناشر .

روايات  عربية

القصص والروايات القصيرة

انست همنجواي

رجال بلا نساء

2

المجموعة الثانية

ترجمة: سمير عزت نصار



المحتويات
المجموعة الثانية (إيرنت همنجواي)
رجال بلا نساء

٧	اللامهزوم	١
٥١	في بلاد أخرى	٢
٥٩	تلال كفيّلة بيضاء	٣
٦٧	القَتلة	٤
٨٣	ماذا يقول الوطن؟	٥
٩٩	خمسون قطعة من فئة الألف دولار	٦
١٣٧	استفسار بسيط	٧
١٤٣	عشرة هنود	٨
١٥١	طائر كناري لواحدة	٩
١٥٩	أنشودة ألبية	١٠
١٦٩	سباق مطاردة	١١
١٧٧	اليوم هو الجمعة	١٢
١٨٣	قصة تافهة	١٣
١٨٧	الآن، أنا أتمدّد	١٤

اللامهزوم

ارتقى مانويل جارسيا الدرج إلى مكتب دون ميغيل ريتانا. وضع حقيبته على الأرض وطرق الباب. لم يصدر أي جواب. أحس مانويل، وهو يقف في الممر، بأن في الغرفة شخصاً ما. أحسّ بهذا من خلال الباب.

قال، مصغياً: "ريتانا". لم يصدر أي جواب.

فكر مانويل: إنه هناك، بلا شك.

قال: "ريتانا"، وخبط على الباب

قال شخص في المكتب: "مَنْ هناك؟"

قال مانويل: "أنا، مانولو".

سأل الصوت: "ماذا تريد؟"

قال مانويل: "أريد أن أعمل".

صلصل شيء في الباب عدة مرات ودار منفتحاً. دخل مانويل، حاملاً حقيبته.

جلس رجل ضئيل خلف مكتب في الجانب القصي من الغرفة. فوق رأسه استقر رأس ثور، حنطة خبير تحنيط من مدريد؛ على الجدران علقت صور فوتوجرافية مؤطرة وملصقات مصارعة ثيران جدارية.

جلس الرجل الضئيل ناظراً إلى مانويل.

قال: "ظننتُ أنهم قتلوك".
طرق مانويل بسلاماته على المكتب. جلس الرجل الضئيل ناظراً
إليه من وراء طاولة المكتب.

سأل ريتانا: "كم مصارعة ثيران قمتَ بها هذه السنة؟"
أجاب: "واحدة".

سأل الرجل الضئيل: "تلك المرة الوحيدة فقط؟"
- "تلك هي".

قال ريتانا: "قد أتتُ عنها في الصحف". مال إلى الخلف في
كرسيه ونظر إلى مانويل.

رفع مانويل نظره إلى الثور المحنَّط. لقد رآه كثيراً من قبل. كان
يحبُّ نحوه باهتمام عاظمٍ معين. لقد قتل أخاه، الواعد بمستقبل
باهر، قبل حوالي تسع سنوات. تذكَّر مانويل ذلك اليوم. ثبتت
هناك لوحة نحاسية صفراء على قاعدة خشب البلوط التي استقر
رأس الثور عليها. لم يستطع مانويل قراءة اللوحة، لكنه تخيَّل أنها
في ذكرى أخيه. حسناً، كان ولداً طيباً.

قالت اللوحة: "الثور "ماريبوسا"، ملك دوق فيراجوا، تلقى
٩ طعنات رمح من على ظهر ٧ خيول، وأودى بحياة أنتونيو
جارسياً: مصارع ثيران مستجد: في ٢٧ أبريل ١٩٠٩"
رأه ريتانا ينظر إلى رأس الثور المحنَّط.

قال: "ستثير مجموعة الثيران التي أرسلها إليّ الدوق لحفلات يوم
الأحد فضيحة. كلها ضعيفة السيقان. ماذا يقولون عنها في
المقهى؟"

قال مانويل: "لا أدري. وصلتُ للتو فقط".

قال ريتانا: "نعم. لا تزال حقيبتك معك".
نظر إلى مانويل، مائلاً إلى الخلف وراء المكتب الضخم.
قال: "إجلس. إخلع طاقتك".
جلس مانويل؛ طاقيته مخلوعة، وجهه متغيراً. بدا شاحباً،
وأضفت عليه ضفيرته المدبسة في الأمام على رأسه حتى لا تظهر
تحت الطاقيّة، مظهراً غريباً.
قال ريتانا: "لا تبدو بصحة جيدة".
قال مانويل: "خرجتُ للتو من المستشفى".
قال ريتانا: "سمعتُ أنهم قطعوا ساقلك".
قال مانويل: "لا. هي بخير".
انحنى ريتانا إلى الأمام من الجهة الأخرى من المكتب ودفع
بصندوق السجائر الخشبيّ نحو مانويل.
قال: "خذ سيجارة".
- "شكراً". أشعلها مانويل.
قال، مقدماً عود الثقاب لريتانا: "دخن؟"
- "لا". لوح ريتانا بيده. "أنا لا أدخن أبداً".
راقبه ريتانا وهو يدخن.
قال: "لم لا تجد عملاً تشغله".
قال مانويل: "لا أريد أن أعمل. أنا مصارع ثيران".
قال ريتانا: "لم يعد يوجد أي مصارعي ثيران".
قال مانويل: "أنا مصارع ثيران".
قال ريتانا: "نعم، حينما تكون هناك".
ضحك مانويل.

جلس ريتانا دون كلام ناظراً إلى مانويل .
عرض ريتانا: " سأضعك في حفلة ليلية إذا أردت " .
سأل مانويل: " متى؟ "
- " غداً ليلاً " .

قال مانويل: " لا أريد أن أعوّض آخرين " . تلك هي الطريقة
التي بها قُتل الجميع . تلك هي الطريقة التي بها قُتل سالفادور .
طَرَق بعُقْل أصابعه على الطاولة .
قال ريتانا: " هذا كل ما عندي " .

اقترح مانويل: " لماذا لا تضعني في الأسبوع القادم " .
قال ريتانا: " لن تجذب . كل من يريدونهم: ليتري وروبيتو ولا
توري . أولئك الفتيان جيدون " .

قال ، يحدوه أمل: " سيأتون ليروني أصرعه " .
- " لا ، لن يأتوا . لم يعودوا يعرفون مَنْ أنت " .
قال مانويل: " عندي الكثير من الفن " .

قال ريتانا: " أعرض أن أضعك في الغد ليلاً . يمكنك العمل مع
الشباب هيرنانديز وتقتل عجلاً بعد مقلدي تشارلي تشابلين " .
سأل مانويل: " عَجلاً مَنْ؟ "

- " لا أعرف . أيّ عجول لدينا في الحظائر . ما يرفض البيطرة
أن تُستخدَم في النهار " .

قال مانويل: " لا أحب أن أعوّض آخرين " .

قال ريتانا: " يمكنك قبول العرض أو رفضه " . انحنى إلى
الأمام فوق الصحف . لم يعد مهتماً . اختفت الذكرى التي أثارها
مانويل في نفسه للحظة من الزمن حين فكّر في الأيام الخوالي . ودّ

أن يجعله يعوّض لاريتنا لأنه يمكنه أن يستخدمه بسعر رخيص .
 يمكنه أن يستخدم آخرين بسعر رخيص أيضاً . مع هذا هو يود
 مساعدته . لقد أتاح له الفرصة . الأمر يرجع إليه .
 سأل مانويل : " كم سأتقاضى ؟ " كان ما يزال يداعب فكرة
 الرفض . لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع الرفض .
 قال ريتانا : " مائتين وخمسين بزيتاً " . ففكر بخمسمائة ، لكن ،
 حين فتح فمه ، نطق بمائتين وخمسين .
 قال مانويل : " إنك تدفع لفيلا لتنا سبعة آلاف بزيتاً " .
 قال ريتانا : " أنت لست فيلا لتنا " .
 قال مانويل : " أعرف هذا " .
 قال ريتانا موضحاً : " إنه يجذب بهذه القيمة يا مونولو " .
 قال مانويل : " أكيد " . نهض واقفاً . " أعطني ثلاثمائة يا ريتانا " .
 وافق ريتانا . " حسناً " . مَدَّ يده إلى الدرج بحثاً عن ورقه .
 سأل مانويل : " هل يمكنني أخذ خمسين الآن ؟ " .
 قال ريتانا : " أكيد " . أخرج ورقة نقدية من فئة الخمسين بزيتاً
 من محفظة جيبه ووضعها ، فردها منبسطة على الطاولة .
 التقطها مانويل ودسها في جيبه .
 سأل : " ماذا عن فريق المصارعة ؟ " .
 قال ريتانا : " يوجد فتیان يعملون معي ليلاً . لا بأس بهم " .
 سأل مانويل : " ماذا عن التخازين ؟ " .
 اعترف ريتانا : " ليسوا كثيري العدد " .
 قال مانويل : " يجب أن أجد نخازناً ماهراً " .
 قال ريتانا : " أحضره إذن . إذهب وأحضره " .

قال مانويل: "ليس من هذا. لن أَدفع لأي فريق مصارعة من الستين دورو".

لم يقل ريتانا شيئاً بل نظر إلى مانويل من وراء المكتب الضخم.

قال مانويل: "أنت تعرف أنه لا بد أن أجد نَحَازاً ماهراً".

لم يقل ريتانا شيئاً بل نظر إلى مانويل من مسافة بعيدة.

قال مانويل: "ليس هذا صحيحاً".

كان ريتانا لا يزال يتأملُه، مسائلاً في كرسية إلى الخلف، متأملاً

إياه من مسافة بعيدة.

عرض: "هناك النَحَازون الدائمون".

قال مانويل: "أعرف. أعرف نَحَازيك الدائمين هؤلاء".

لم يبتسم ريتانا. عرف مانويل أن المقابلة انتهت.

قال مانويل، مناقشاً الأمر بعقلانية. "كل ما أريده فرصة

مناسبة. حين أدخل الحلبة هناك أريد أن أكون قادراً على توجيه

ضرباتي إلى الثور. يتطلب الأمر نَحَازاً ماهراً واحداً فقط".

كان يتكلم مع رجل لم يعد يستمع إليه.

قال ريتانا: "إذا أردت شيئاً آخر، اذهب وأحضره. يوجد فريق

مصارعة دائم في الخارج هناك. أحضر العدد الذي تريده من

النَحَازين. ينتهي عرض تشارلوت في الساعة العاشرة والنصف".

قال مانويل: "حسناً. إذا كانت تلك هي الطريقة التي تراها".

قال ريتانا: "تلك هي الطريقة".

قال مانويل: "سأراك ليلة الغد".

قال ريتانا: "سأكون هناك".

حمل مانويل حقيبته وخرج.

صاح ريتانا: "أغلق الباب".
التفت مانويل إلى الخلف. كان ريتانا يجلس منحنيًا إلى الأمام
ناظرًا إلى بعض الصحف. جذب مانويل الباب بشدة إلى أن طقطق
القفل.

هبط الدرج وخرج من الباب إلى سطوع نور الشارع الحار.
كان الطقس حارًا جدًا في الشارع وكان النور على المباني مفاجئًا
لعينيه وقاسياً عليهما. مشى على الجانب المظلل من الشارع المنحدر
نحو ساحة بويرتو ديل سول. كان الظل يوحى بالصلابة والنداوة
كالماء الجاري. انقضت عليه الحرارة فجأة وهو يعبر الشوارع
المتقاطعة. لم ير مانويل أي شخص يعرفه من بين جميع الناس الذين
مر بهم.

قبل وصوله إلى Puerto del Sol/بوابة الشمس تمامًا، انعطف
داخلاً مقهى.

المقهى هادئ في الداخل. هناك عدد قليل من الرجال يجلسون
إلى طاولات ملتصقة بالجدار. كان أربعة رجال يلعبون الورق على
طاولة. اتكأ أغلب الرجال على الحائط يدخنون، وأمامهم على
الطاولات فناجين قهوة وكؤوس خمر فارغة. عبر مانويل الغرفة
الكبيرة متجهاً إلى غرفة صغيرة في الخلف. كان هناك رجل يجلس
إلى طاولة في الركن وقد استغرق في النوم. جلس مانويل إلى
إحدى الطاولات.

دخل نادل ووقف أمام طاولة مانويل.

سأله مانويل: "هل رأيت زوريتو؟"

أجاب النادل: "كان هنا قبل الغداء. لن يعود قبل الساعة

الخامسة " .

قال مانويل: " أحضر لي بعض القهوة والحليب وجرعة من الشراب العادي " .

عاد النادل إلى الغرفة، حاملاً صينية عليها كأس قهوة كبيرة وكأس خمرة. بينما أمسك بيده اليسرى قنينة براندي. لفّ بها ووضعها على الطاولة فصبّ صبيّ يتبعه القهوة والحليب في الكأس من إنائين لامعين لكل منهما صنوبر ومقبض طويل .

خلع مانويل طاقيته، لاحظ النادل ذيل الخنزير المدبّس إلى الأمام على رأسه. غمز لصبيّ المقهى وهو يصبّ البراندي في الكأس الصغيرة إلى جانب قهوة مانويل. نظر صبيّ المقهى إلى وجه مانويل الشاحب بفضول .

سأل النادل، مغلقاً القنينة بالفليئة. " تصارع هنا؟ "

قال مانويل: " نعم. غداً "

وقف النادل مسنداً القنينة على أحد رديه .

سأل: " أنتَ في مجموعة تشايلن؟ "

أشاح صبيّ المقهى بنظرة بعيداً، مرتبكاً .

- " لا، في المصارعة العادية " .

قال النادل: " ظننت أنهم سيستخدمون تشيفيز وهيرنانديز " .

- " لا. أنا وشخص آخر " .

- " مَنْ؟ تشيفيز أو هيرنانديز؟ "

- " هيرنانديز، على ما أظن " .

- " ما خطب تشيفيز؟ "

- " أصيب " .

- "أين سمعتَ بذلك؟"

- "ريتانا".

نادى النادل في الغرفة المجاورة: "هيه، لوي، تشيفيز أصيب".
نزع مانويل اللفائف عن قطع السكر وأسقطها في قهوته.
حركها وشربها حتى الثمالة، حلوة وساخنة، ومُدْفئة في معدته
الخاوية. شرب البراندي دفعة واحدة.

قال للنادل: "أعطني جرعة أخرى من تلك".

رفع النادل الفليئة عن القنينة وصب في الكأس حتى امتلأت،
دالِقاً بعض الشراب في الطبق. اقترب نادل آخر من الطاولة. كان
صبيّ المقهى قد ذهب.

سأل النادل الثاني مانويل: "هل أصيب تشيفيز إصابة خطيرة؟"

قال مانويل: "لا أدري. لم يقل ريتانا".

قال النادل الطويل: "كثيراً من جحيم يمه". لم يكن مانويل قد
رآه من قبل. لا بد أنه قَدِمَ الآن للتو.

قال النادل الطويل: "إذا كنتَ مع ريتانا في هذه البلدة، أنت
رجل مجنون. إذا لم تكن معه، قد تخرج أيضاً من هنا وتطلق النار
على نفسك".

قال النادل الآخر الذي كان قد دخل: "لقد قتلها. قتلها إذن".

قال النادل الطويل: "أنتَ على حق بأنني قتلها. إنني أعرف ما
أتكلم عنه حين أتكلم عن ذلك الطائر".

قال النادل الأول: "أنظر إلى ما فعله بـ فيلاتا".

قال النادل الطويل: "ولم يكن ذلك كل شيء. أنظر إلى ما فعله
بهارشيال لالاندا. أنظر إلى ما فعله بناسيونال".

وافق النادل القصير: "لقد قتلُها يا فتى".

نظر مانويل إليهما وهما يقفان أمام الطاولة يتبادلان الحديث. كان قد أكمل كأسه الثانية من البراندي. لقد نسوا كل شيء عنه. لم يكونوا مهتمين به.

تابع النادل الطويل: "أنظر إلى تلك الحفنة من الجمال. هل رأيتَ هذا الـ ناسيونال II".

قال النادل الأصلي: "رأيتُه الأحد الماضي، أليس كذلك؟"

قال النادل القصير: "إنه زرافة".

قال النادل الطويل: "ماذا قلتُ لكما؟ أولئك هم صبية ريتانا".

قال مانويل: "قل، أعطني جرعة أخرى من ذلك". كان قد صبَّ البراندي الذي دلقه النادل في الطبق إلى كأسه وشربه بينما كانوا يتحدثون.

ملاً النادل الأصلي كأس مانويل بالبراندي على نحو آلي، وخرج ثلاثتهم من الغرفة وهم يتحدثون.

في الركن البعيد، كان الرجل ما يزال نائماً، غاطاً قليلاً عند التقاط أنفاسه وقد أمال رأسه إلى الخلف على الحائط.

شرب مانويل برانديه. أحسَّ هو نفسه بالنعاس. كان الجو أشد حرارة مما يشجع على الخروج إلى البلدة. إضافة إلى هذا، لا يوجد عمل يقوم به. أراد أن يرى زوريتو. سينام، فيما هو ينتظره. ركل حقيبته تحت الطاولة ليتأكد من أنها هناك. ربما يحسن أن يضعها تحت المقعد، لصق الحائط. مال ودفعها تحت كرسية. ثم انحنى إلى الأمام وأنكبَّ على الطاولة وأخذ للنوم.

حين استيقظ كان شخص يجلس إلى الجانب الآخر من الطاولة.

كان رجلاً ضخماً له وجه أسمر كهندي. جلس إلى هناك لبعض الوقت. لَوَّحَ للنادل بيده ليجتهد وجلس يقرأ صحيفته وينظر من وقت إلى آخر إلى مانويل النائب ورأسه على الطاولة. قرأ الجريدة بانهاك مشكلاً الحروف بشفتيه وهو يقرأ. حين كانت القراءة تتعبه، كان ينظر إلى مانويل. كان يجلس ثقيلًا على الكرسي، وقد أمال قبعته القرطبية السوداء إلى الأمام.

اعتدل مانويل بجلسته ونظر إليه.

قال: "مرحبا يا زوريتو".

قال الرجل الضخم: "أهلاً يا فتى".

فرك مانويل جبهته بظاهر قبضته: "كنتُ نائماً".

- "أظن أنك كنتُ نائماً".

- "كيف الأحوال؟"

- "جيدة. كيف تسير الأمور معك؟"

- "ليستُ جيدة تماماً".

ظلاً كلاهما صامتين. نظر زوريتو النخاز إلى وجه مانويل الأبيض. خفض مانويل أنظاره إلى يدي النخاز الضخمتين وهما تطويان الجريدة ليدسها في جيبه.

قال مانويل: "لدي خدمة سأطلبها منك يا مانوس".

كان اسم مانوسدوروس هو اسم التحبب لزوريتو. لم يكن يسمعه إلا ويوجّه تفكيره إلى يديه الضخمتين. وضعها أمامه على الطاولة وهو يحس بها.

قال: "لنشرب".

قال مانويل: "أكيد".

حضر النادل وذهب وحضر مرة أخرى . خرج من الغرفة وهو يلتفت إلى الرجلين الجالسَيْن إلى الطاولة .
وضع زوريتو كأسه على الطاولة وقال : " ما الأمر يا مانولو؟ "
سأل مانويل وهو ينظر إلى زوريتو عبر الطاولة . " هل ستقوم بنخز ثورين ليلة الغد؟ "
قال زوريتو: " لا . أنا لا أنخز" .
نظر مانويل إلى كأسه . كان يتوقع ذلك الجواب ؛ وها قد تلقاه الآن . حسناً ، لقد تلقاه .
نظر زوريتو إلى يديه : " أنا آسف يا مانويل إنني لا أنخز" .
قال مانويل : " ذلك حسن " .
قال زوريتو: " لقد شخْتُ على هذا " .
قال مانويل : " طلبتُ منك فقط " .
- " هل هي الحفلة الليلية غداً؟ "
- " تلك هي . تصورتُ أن لو كان لديّ نخّاز جيد لسارت أموري سيراً حسناً" .
- " كم تتقاضى؟ "
- " ثلاثمائة بزيتا " .
- " أتقاضى أكثر من هذا المبلغ عن النخز" .
قال مانويل : " أعرف . ليس لدي حقّ في أن أطلب منك " .
سأل زوريتو: " ما الذي يدفعك للاستمرار في هذا؟ لم لا تقصّ ضفيريّتك يا مانولو " .
قال مانويل : " لا أعرف " .
قال زوريتو: " يكاد عمرك يصل إلى عمري تماماً " .

قال مانويل: "لا أعرف. لا بد أن أفعل هذا. لو أمكنني ترتيب
الوضع بحيث أتمتع بفترات راحة منتظمة، ذلك كل ما أريده. لا
بد أن ألتزم بهذا يا مانوس".
- "لا، الأمر ليس كذلك".
- "نعم، لا بد. حاولتُ الابتعاد عن هذا".
- "أنا أعرف ما تشعر به. لكن هذا غير صحيح. يجب أن تخرج
من هذا وتبقى بعيداً عنه".
- "لا أستطيع هذا. إضافة إلى أنني ظلتُ أتحسّن في الفترة
الآخيرة".

نظر زوريتو إلى وجهه.

- "كنت في المستشفى".

- "لكنني بدأتُ أصبح في أحسن حال حين أصبت".

لم يقل زوريتو شيئاً. أفرغ الكونياك من طبقه في كأسه.

قال مانويل: "قالت الصحف إنهم لم يروا قط إنجازاً أفضل".

نظر زوريتو إليه.

قال مانويل: "أنتَ تعرف أنني حين اتابع أصبح جيداً".

قال النخاز: "أنتَ شخت".

قال مانويل: "لا. أنتَ أكبر مني بعشر سنوات".

- "بالنسبة إليّ، الأمر مختلف".

قال مانويل: "لم أشخ".

جلسا صامتين، ومانويل يراقب وجه النخاز.

عرض مانويل: "كنتُ أتمرس إلى أن أصبت".

قال مانويل مؤنباً: "كان يجب أن تراني يا مانوس".

قال زوريتو: "لا أريد أن أراك . هذا يثير أعصابي " .
 - "لم ترني مؤخراً" .
 - "رأيتك كثيراً" .
 نظر زوريتو إلى مانويل ، متفادياً عينيه .
 - "يجب أن تتركها يا مانولو" .
 قال مانويل : " لا أستطيع . أنا أتحسّن الآن ، أخبرك بهذا" .
 مال زوريتو إلى الأمام ، يدها على الطاولة .
 - "إسمع . سأقوم بالنخز لأجلك غداً ، وإذا لم تتفوق غداً ليلاً ،
 ستتركها . أنظر؟ هل ستفعل ذلك؟"
 - "أكيد" .
 مال زوريتو إلى الخلف ، وقد خُفّف عنه .
 قال : "يجب أن تتركها . لا عملَ قرود . يجب أن تقصّ
 الضفيرة" .
 قال مانويل : "لن أتركها . شاهدي . لديّ الشجاعة" .
 وقف زوريتو . شعر بالتعب من المجادلة .
 قال : "يجب أن تتركها . سأقصّ ضفيرتك بنفسني" .
 قال مانويل : "لا ، لن تقصّها . لن تتاح لك فرصة" .
 نادى زوريتو على النادل .
 قال زوريتو : "هيا بنا . لنذهب إلى البيت" .
 مدّ مانويل يده تحت المقعد بحثاً عن حقيبتيه . كان سعيداً . كان
 يعرف أن زوريتو سينخز له . كان أفضل نخاز على قيد الحياة .
 أصبح كل شيء سهلاً الآن .
 قال زوريتو : "هيا بنا إلى البيت وسنأكل" .

وقف مانويل في ساحة الخيول منتظراً انتهاء عرض تشابلن/تشارلوت. وقف زوريتو إلى جانبه. كان المكان الذي يقفان فيه مظلماً. كان الباب العالي المؤدي إلى حلقة الثيران مغلقاً. فوقهما، سمعا صيحة ضحك، ثم صيحة ضحك أخرى. ثم ساد صمت. أحب مانويل رائحة الاصطبلات المحيطة بساحة الخيول. لها رائحة زكية في الظلام. انطلق هدير آخر من الحلبة، ثم تصفيق، تصفيق متطاوّل، تواصل وتواصل.

سأل زوريتو، ضحكاً وهائلاً إلى جانب مانويل في الظلام. "هل رأيت هؤلاء الأشخاص من قبل؟"

قال مانويل: "لا".

قال زوريتو: "إنهم مضحكون تماماً". ابتسم لنفسه في الظلام.

دار الباب العالي المزدوج محكم السد المؤدي إلى حلقة الثيران وانفتح ورأى مانويل الحلبة تحت الأنوار القوسية الساطعة، والساحة العامة، مظلمة على طول المنطقة المحيطة بها، ترتفع إلى الأعلى؛ حول حافة الحلبة كان رجالان في ملابس صعاليك يجريان وينحنيان، يتبعهما ثالث في بزة خادم فندق ينحني ويلتقط القبعات والعصي المقذوفة على الرمل ويرمى بها لتعود إلى الظلام.

أضاءت الأنوار الكهربائية الساحة.

قال زوريتو: "سأمتطي أحد هذه الأمهار بينما تقوم أنت بجمع الفتیان".

خلفهما، تنامى إليهما صوت صلصلة البغال، خارجة لتدخل الحلبة وتربط بالثور الميت.

عاد أفراد فريق المصارعة الذين كانوا يشاهدون العرض الهزلي من الممرات الواقعة بين حاجز الحلبة والمقاعد، عائدين مشياً ثم وقفوا في مجموعة يتحدثون تحت الضوء الكهربائي في الساحة. اقترب فتى حسن المظهر في بدلة فضية وبرتقالية من مانويل وابتسم.

قال : "أنا هيرنانديز". ومدّ يده.

صافحها مانويل.

قال الفتى بمرح: "إنها فيلة حقيقية هذه التي لدينا الليلة".

وافق مانويل: "إنها ضخمة بقرون".

قال الفتى: "سحبت أسوأ مجموعة".

قال مانويل: "هذا حسن. كلما كبر حجمها كلما زاد اللحم

للفقراء".

قطب هيرنانديز. "من أين جئتَ بذلك الشخص؟"

قال مانويل: "ذلك عجوز. صُفّ فريقك حتى أرى مَنْ الذين

لديّ".

قال هيرنانديز: "لديك فتیان جيدون". كان مرحاً جداً. صارع

مرتين في ليليات من قبل وبدأ يحصل على تابعين في مدريد. كان

سعيداً لأن المصارعة ستبدأ خلال دقائق معدودة.

سأل مانويل: "أين النخّازون؟"

قطب هيرنانديز: "عادوا إلى الحظائر متشاجرين حول مَنْ

سيأخذ الخيول الجميلة".

اندفعت البغال عبر البوابة. الأسواط تطرّع، والأجراس

تجلجل والثور الفتيّ يحفر ثلماً في الرمل.

شكّلوا موكب الدخول حالما دخل الثور.
وقف مانويل وهيرنانديز في المقدمة. كان شباب فريق المصارعة
خلفها، وكاباتهم ملفوفة على أذرعهم. في الخلف، النخازون
الأربعة ممتطين خيولهم، حاملين أعمدة نخز فولاذية الرؤوس
منتصبّة في شبه الظلام في الحظيرة.
قال أحد النخازين: "عجيبٌ ألاّ يمنحنا ريتانا ضوءاً كافية لنرى
الخيول بها".

أجابه نخاز آخر: "إنه يعرف أننا سنكون أسعد حالاً إذا نحن لم
نلقِ نظرة جيدة جداً على هذه الجلود".
قال النخاز الأول: "لا يكاد هذا الشيء الذي أركبه يرفعني عن
الأرض".

- "حسناً، إنها خيول".

- "أكيد، هي خيول".

تحدثوا، موقفين خيولهم الهزيلة في الظلام.
لم يقل زوريتو شيئاً. كان لديه الحصان القوي الوحيد من
المجموعة. جرّبه، دائراً به في الحظائر، فأستجاب إلى اللجام
والمهأزين. كان قد نزع العصا عن عينه اليمنى وقطع الخيوط
التي ربطت أذنيه وأغلقتها بإحكام عند القاعدة. كان حصاناً جيداً
قوياً، صلب السيقان. كان ذلك كل ما احتاج إليه. اعتزم أن
يمتطيه طيلة مدة المصارعة. ظلّ، منذ امتطاه، جالساً في شبه
الظلام على السرج المغطى الكبير، منتظراً مرور الموكب، ناخراً طيلة
مدة المصارعة في ذهنه. تابع النخازون الآخرون تبادل الحديث
وهم إلى كلا جانبيه. لم يسمعهم.

وقف المصارعان أمام مشائهما الثلاث وقد التفت كاباتهم حول ذراعيهما الأيسرين بنفس الأسلوب. كان مانويل يفكر بالفتيان الثلاثة خلفه. كان ثلاثتهم من مدريد، مثل هيرنانديز، في حوالي التاسعة عشرة من العمر. أعجبه شكل أحدهم وكان غجرياً جداً ومتعالٍ أسمر الوجه. التفت.

سأل الغجري: "ما اسمك يا فتى؟"

قال الغجري: "فوينتيس".

قال مانويل: "اسم جميل".

ابتسم الغجري، كاشفاً عن أسنانه.

قال مانويل: "خذ الثور وأجر به قليلاً حين يخرج".

قال الغجري: "حسناً". كان وجهه رصيناً. بدأ يفكر بما سيفعله.

قال مانويل لهرنانديز: "ها هي تخرج".

- "حسناً. لنذهب".

برؤوس مرفوعة متمايلة مع الموسيقى، وأذرعهم اليمنى متأرجحة بحرية، خطوا خارجين، عابرين الحلبة المفروشة بالرمل تحت الأنوار القوسية، وفرق المصارعة منتشرة خلفهم، والنخازون يركبون خيلهم وراءهم، يتبعهم خدام حلبية الثيران والبغال المجلجلة. صفق الجمهور لهرنانديز حين ساروا عبر الحلبة. بغطرسة وتمايل، نظروا إلى الأمام وهم يسيرون.

أحنوا رؤوسهم أمام الرئيس، وتفرق الموكب إلى مجموعات منفصلة. توجه مصارعو الثيران إلى الحاجز وغيروا ستراتهم الثقيلة واستبدلوها بكابات المصارعة الخفيفة. خرجت البغال. هرول

النخّازون مهتزين حول الحلبة، وخرج اثنان منهم من البوابة التي دخلوا منها. كَنَسَ الخدم الرمل حتى أصبح أملس .
شرب مانويل كأس ماء صبه له أحد وكلاء ريتانا الذي يعمل بوظيفة مديره وحامل سيفه . حضر هيرنانديز بعد أن أنهى حديثه مع مديره الخاص .

حيّاه مانويل: " لك أتباع طيبون يا فتى " .
قال هيرنانديز بسعادة: "إنهم يحبونني " .
سأل مانويل رجل ريتانا: " كيف يسير الموكب؟ "
قال حامل السيف: " كزفاف . رائع . خرجتما ك جوزيلتو ويلمونتي " .

مرّ زوريتو راكباً حصانه كتمثال فارس صخم . سار بحصانه حتى واجه حظيرة الثيران في الجانب البعيد من الحلبة التي سيخرج منها الثور . كان المنظر غريباً تحت النور القوسي . لقد سبق أن قام بالنخز تحت شمس بعد ظهر حارّ مقابل مبالغ كبيرة من المال . إنه لم يحب عمل النور القوسي هذا . تمنى أن يبدأوا .
اقترب مانويل منه .

قال: " انخزه يا مانوس . حوّله إلى الحجم المناسب لي " .
بصق زوريتو على الأرض: " سأنخزه يا فتى ، سأجعله يقفز خارجاً من الحلبة " .

قال مانويل: " اضغط عليه يا مانوس " .
قال زوريتو: " سأضغط عليه . ما الذي يؤخره؟ "
قال مانويل: " ها هو قادم الآن " .
جلس زوريتو هناك مراقباً باب حظيرة الثيران البعيدة ، قدماه في

الركاب، ساقاه الكبيرتان في الدرع المكسو بجلد الغزال المحيط بالحصان، العنان في يده اليسرى، المنخاز الطويل في يده اليمنى، قبعته العريضة تغطي عينيه تماماً لتحجب عنها الأنوار، مراقباً الباب البعيد للحظيرة. ارتجفت أذنا حصانه. ربت زوريتو عليه بيده اليسرى.

انفتح باب حظيرة الثيران الأحمر ونظر زوريتو للحظة إلى الممر الخاوي البعيد الواقع في الجهة الأخرى من الحلبة. خرج الثور مندفعاً، منزلقاً على سيقانه الأربع وهو يخرج تحت الأنوار، ثم مهاجماً وهو يهرول، متحركاً بسلاسة في هرولة سريعة، صامتاً إلا حين يطلق أنفاسه من منخاريه العريضين وهو يهاجم، مسروراً لتحرره من الزريبة المعتمة.

في الصف الأول من المقاعد، ضجراً قليلاً، مائلاً إلى الأمام ليكتب على الجدار الاسمتي أمام ركبته، خطاً ناقد مصارعة الثيران البديل في صحيفة ال هيرالدو: "كامبانيرو، أسود، ٤٢، خرج بسرعة ٩٠ ميلاً في الساعة مع الكثير من الغاز -"

لوح مانويل بيده، متكئاً على حاجز الحلبة، مراقباً الثور، وهرع الفجري خارجاً أيضاً، جاراً كابه. دار الثور حول نفسه، بأقصى هرولة، وهاجم الكاب، ورأسه منكس وذيله مرتفع عالياً. تحرك الفجري بخط متكسر وحين مرّ بالثور، لمح الثور فترك الكاب ليهاجم الرجل. أسرع الفجري ووثب فوق سياج حاجز الحلبة الأحمر حالماً خبط الثور بقرنيه. دفع الثور الحاجز بقرنيه مرتين، خابطاً الخشب بعمى.

أشعل ناقد ال هيرالدو سيجارة وقذف بعود الثقاب على الثور،

ثم دَوَّن في كراسٍ ملاحظاته: "أظهر كامبانييرو، وهو ثور صخيم بقرنين كبيرين يرضيان زبائن الدفع نقداً، ميلاً لتفجير الأرض تحت أقدام المصارعين".

خطا مانويل إلى حيث الرمل الصلب فيما كان الثور يخطب السياج. من زاوية عينه رأى زوريتو ممتطياً الحصان الأبيض قريباً من حاجز الحلبة، على بُعد حوالي ربع المسافة المحيطة بالحلبة يساراً. أمسك مانويل الكاب أمامه تماماً، ممسكاً ثنيةً بكل يد، وصاح على الثور، "هوه! هوه!" التفت الثور، بدا كأنه يستجمع قواه ليثب على السياج حين هاجم مندفعاً نحو الكاب، ومانويل يخطو جانباً، دائراً على عقبه مع هجوم الثور، هز الكاب أمام قرني الثور تماماً. عند نهاية الكاب، كان يواجه الثور مرة أخرى وقد أمسك بالكاب في نفس الوضع الملتصق بمقدمة جسمه، ودار حول نفسه ثانية عندما هاجم الثور مرة أخرى. في كل مرة دار فيها حول نفسه، انطلق الجمهور صارخاً.

أربع دورات دار مع الثور، رافعاً الكاب حتى انتفخ انتفاخاً كاملاً، وفي كل مرة دافعاً الثور حوله ليهاجم ثانية. بعدئذ، في نهاية الدوران الخامس، أمسك بالكاب على ردفه ودار حول نفسه حتى تارجع الكاب مثل تنورة راقصة بالية ولّف الثور حول نفسه كحزام، ليخطو متخلصاً منه، تاركاً الثور يواجه زوريتو على الحصان الأبيض، متقدماً وثابتاً، والحصان يواجه الثور وأذناه تشرئبان إلى الأمام، وشفثاه عصيتان، وزوريتو معتمراً قبعته فوق عينيه ومنحنيماً إلى الأمام والعمود الطويل يهتز إلى الخلف والأمام بزاوية حادة تحت ذراعه اليمنى وقد أمسك به من نصفه السفلي

وحده الحديديّ المثلث الشكل مواجهاً الثور.

كتب ناقد مصارعي الدرجة الثانية له الهيرالدو، آخذاً أنفاساً من سيجارته، وعينه تراقبان الثور: "لقد وضع مانولو، المحارب القديم، تصميم سلسلة مقبولة من الـ فيرونيكات veronica منهيّاً إياها بقطع كامل recote، على أسلوب بلمونتي، أثارت التصفيق من جماهير الحلبة الدائمين وانتقلنا إلى ثلاثيّ tereio الفرسان".

أوقف زوريتو حصانه، وهو يقيس المسافة بين الثور ونهاية رمح النخز. فيما هو ينظر، استجمع الثور كل ما لديه من قوة وهاجم وعينه على صدر الحصان. عندما نكس رأسه ليطعن بقرنيه، أغرق زوريتو حدّ المنخاز في حدة العضل المنتفخة فوق كتف الثور، وقد مأل بكامل ثقله على عمود المنخاز، وبيده اليسرى جرّ الحصان الأبيض في الهواء، وحوافره الأمامية تتخط، أداره إلى اليمين وهو يدفع الثور ليتمرّ القرنان بأمان تحت بطن الحصان فسقط الحصان مرتجفاً، وذيل الثور يضرب صدره مهاجماً الكاب الذي قدّمه له هيرنانديز.

جرى هيرنانديز جانباً جاراً الثور بالكاب بعيداً نحو النخاز الآخر. ثبته بدورة من الكاب ليواجه الحصان والفارس على نحو كامل وخطا إلى الخلف. حين رأى الثور الحصانَ هاجمه. انزلق رمح النخاز على ظهره، وحين رفعت صدمة الهجوم الحصان، كان النخاز قد ابتعد عن السرج قليلاً، رافعاً رجله اليمنى ومحرراً إياها حين لم يصب هدفه بالرمح، مائلاً إلى الجانب الأيسر ليبقى الحصان بينه وبين الثور. سقط الحصان، مرفوعاً ومبقوراً ومحطماً والثور يدفع قرنيه فيه، دفع النخاز جزمته صادمًا الحصان ومتخلصاً منه،

واستقر على الأرض منتظراً أن يقوموا برفعه وإبعاده ثم ايقافه على قدميه .

ترك مانويل الثور يندفع مهاجماً الحصان الساقط، لم يكن متعجلاً، كان النخاز آمناً؛ إضافة إلى أن هذا الوضع أثار حذر النخاز. سيصمد مدة أطول في المرة القادمة. نخازون قدرون! نظر عبر الرمل إلى زوريتو البعيد قليلاً عن حاجز الحلبة، وحصانه جامد، منتظراً.

صاح بالثور: "هوه! تومارا!" ممسكاً بالكاب بكلتا يديه حتى يلفت أنظار الثور. فصل الثور نفسه عن الحصان وهاجم الكاب، وفيما كان مانويل يجري جانباً ممسكاً بالكاب مفروداً على سعته، توقف، ثم دار على عقبيه وجرّ الثور بدورة حادة ليواجه زوريتو. كتب ناقد الـ هيرالدو: "نُخز الكامبانييرو نخزتين مقابل موت واحد من الخيول، بينما هيرنانديز ومانولو بعيدين. ضغط زوريتو على الحديد وأظهر بجلاء أنه لم يكن محباً للخيل. لقد استعاد المحارب القديم زوريتو بعض فنه القديم بعمود النخز. فن المناورة على نحو ملحوظ -"

صاح الرجل الجالس إلى جانبه: "أوليه! أوليه!" ضاعت الصرخة في هدير صوت الجمهور، وضرب الناقد على ظهره. رفع الناقد نظره ليرى زوريتو تحته مباشرة، مائلاً بجسمه على الحصان، وطول المنخاز كله مرتفع بزاوية حادة تحت إبطه، ممسكاً بالمنخاز من حده تقريباً، ملقياً بثقله كله إلى أسفل ليعبد الثور، والثور يدفع ويندفع للوصول إلى الحصان، وزوريتو، بعيداً، فوقه مثبتاً إياه مديراً الحصان حول نفسه ببطء بالضغط حتى أصبح أخيراً في

مأمن منه . عرف زوريتو بأن هذه هي اللحظة التي أصبح فيها الحصان في مأمن من الخطر واللحظة التي يستطيع الثور فيها السير بمحاذاته، فأرخی ضغط فولاذ مقاومته، ومزق حد المنخاز الفولاذي المثلث الشكل حدة عضلة كتف الثور حين انطلق متحرراً من الفولاذ ليواجه كاب هيرنانديز المتدلي أمام خطمه . هاجم الكاب بعماء وجره الفتى بعيداً إلى داخل الحلبة المكشوفة . ربت زوريتو على حصانه، ناظراً إلى الثور المهاجم للكاب الذي فرد هيرنانديز نحوه تحت النور الساطع بينما صاح الجمهور .

قال مانويل : " أتري ذلك الثور؟ "

قال مانويل : " كان أعجوبة " .

قال زوريتو : " نلتُ منه هذه المرة . أنظر إليه الآن " .

في ختام حركة مرور الكاب الملتفة القريبة جداً من الثور، انزلق الثور وأقعى على ركبته . وقف على أقدامه فوراً، لكن مانويل وزوريتو رأيا من بعيد وعبر الرمل لمعان تدفق الدم الضاخ، رقيقاً على سواد كتف الثور .

قال زوريتو : " نلتُ منه هذه المرة " .

قال مانويل : " إنه ثور جيد " .

قال زوريتو : " لو أتاحوا لي هجمة أخرى، لقتلته " .

قال مانويل : " سيغيرون الثالثين علينا " .

قال زوريتو : " أنظر إليه الآن " .

قال مانويل : " لا بد أن أذهب إلى هناك " ، وانطلق جارياً نحو جانب الحلبة الآخر، حيث كان سائسو الخيل يقودون حصاناً من لجامه نحو الثور، ضاربين إياه على قوائمهم بقضبان حديد

ومحاولين، وقد كَوَّنوا كلهم موكباً، جَرَه نحو الثور، الذي وقف منكساً رأسه، ضارباً الأرض بحوافره غير قادر على اتخاذ قرار بالهجوم.

عيس زوريتو، وهو ممتطٍ جواده، دافعاً إياه نحو المشهد دون أن تفوته أي تفاصيل مما يجري.

أخيراً، هاجم الثور، فركض قادة الخيل في اتجاه حاجز الحلبة، ونخز النخاز في مكان بعيد من ظهر الثور، وأندفع الثور تحت الحصان، فرفعه ورمى به على ظهره.

راقب زوريتو. خرج سائسو الخيل راكضين، في قمصانهم الحمراء، نحو الحصان ليخلصوا النخاز. أخذ النخاز، الذي أصبح يقف على قدميه الآن، يشتم ويخطب بذراعيه. كان مانويل وهيرنانديز يقفان مستعدين بكأبيهما. والثور، الثور الضخم الأسود، مع حصانٍ على ظهره، وحوافره متدلّية، واللجام عالق بقرني الثور. ثور أسود مع حصان على ظهره، يتمايل على سيقان قصيرة، يقوّس عنقه ويرفعه ويدفع، مهاجماً، ليزلق الحصان عن ظهره، والحصان ينزلق إلى أسفل. ثم قام الثور بهجوم مندفع على الكاب الذي فردّه مانويل له.

أحسّ مانويل بأن الثور أصبح أبطأ حركة الآن. كان ينزف بغزارة. سألت بقعة دم لامعة على خاصرته كلها.

قرّب مانويل الكاب منه مرة أخرى. ها هو قادم، عيناه مفتوحتان، قبيحتان، تراقبان الكاب. خطأ مانويل جانباً ورفع ذراعيه، محكماً وضع الكاب أمام الثور ليقوم بحركة فيرونيكا. أصبح الآن يواجه الثور. نعم، رأسه ينخفض قليلاً إلى أسفل.

كان يتدلى إلى أسفل. ذلك كان زوريتو.

لوح مانويل بالكاب؛ ها هو قادم؛ خطا جانباً ودار حول نفسه بحركة فيرونیکا أخرى. ففكر: إنه يندفع بهجوم دقيق التسديد جداً. لقد قاتل كفايته، لذلك فهو يراقب الآن. يتحين فرصة الآن. ثبت عينيه علي. لكنني أقدم إليه الكاب دائماً.

هز الكاب أمام الثور؛ ها هو قادم؛ خطا جانباً. قريب قريباً رهيباً هذه المرة. لا أريد أن أصارعه على هذه الدرجة من القرب. كان طرف الكاب مبللاً بالدماء في المكان الذي لمس فيه ظهر الثور حين مرّ قربه.

حسناً، ها هي المرة الأخيرة.

قدم مانويل، مواجهاً الثور ومديراً إياه مع كل هجوم، الكاب بيديه الاثنتين. نظر الثور إليه. وعينا الثور تراقبان، وقرناه مشربتان إلى الأمام، نظر إليه، مراقباً.

قال مانويل: "هوه! تورو!" وفيما هو يميل إلى الخلف، لوح بالكاب إلى الأمام. ها هو قادم. خطا جانباً، ولوح بالكاب خلف ظهره، ودار حول نفسه، فلاحق الثور دوران الكاب إلا أنه لم يصدّم شيئاً، وثبته المرور، وسيطر عليه الكاب. لوح مانويل بالكاب تحت خطمه بيد واحدة، ليبين للجمهور بأن الثور قد ثبت، ثم سار مبتعداً.

لم ينطلق أي تصفيق.

سار مانويل على الرمل نحو حاجز الحلبة، بينما خرج زوريتو من الحلبة على ظهر جواده. دوى البوق لتغيير المشهد إلى غرس الرايات بينما كان مانويل يصارع الثور. لم يلاحظ هذا بصورة

واعية. كان سائسو الخيل يفرشون قماش القنب على جثتي
الحصانين وينثرون نشارة الخشب حولهما.
تقدم مانويل من الحاجز لشرب جرعة ماء. ناوله رجل ريتانا
الجرّة المسامية الثقيلة.

كان فويتيس العجري الطويل يقف ممسكاً برايتين رفيفتين لهما
عصوان حمروان وقد اتجه حدّاهما صتاريا الشكل إلى الأمام. نظر
إلى مانويل.

قال مانويل: "أخرج".

هرول العجري خارجاً. وضع مانويل الجرّة على الأرض،
وراقبه. مسح وجهه بمنديله.

مدّ ناقد الـ هيرالدو يده نحو قنينة الشمبانيا الدافئة التي
استقرت بين قدميه، شرب جرعة، ثم أنهى فقرته.

"- لم يثر مانولو العجوز أي تصفيق بسلسلة مرور بالكاب
مبتدلة ثم انتقلنا إلى الثالث من غرس الأوتاد".

وحيداً في وسط الحلبة، وقف الثور وهو ما يزال مثبتاً. تقدّم
فويتيس، طويلاً مشدود الظهر، سائراً نحوه بغطرسة، ذراعاه
مفرودتان إلى الأمام، وعصوان دقيقتان حمراوان، كل عصا منهما في
يد، تمسكها أصابعها، تشيران بحديهما إلى الأمام. مشى فويتيس
إلى الأمام. خلفه، منحرفاً إلى أحد الجانبين، وقف أحد أفراد
فريق المشاة بكاب. نظر إليه الثور ولم يعد مثبتاً.

راقبت عينا الثور فويتيس الذي كان يقف الآن ساكناً. مال
الآن إلى الخلف، صارخاً به. انتزع فويتيس الرايتين فجذب النور
المنعكس على حواف الفولاذ عيني الثور.

ارتفع ذيله وهاجم .

تقدّم إلى الأمام مباشرة، وعيناه على الرجل . وقف فويتيس ساكناً، مائلاً إلى الخلف، وتشير الرايتان إلى الأمام . حالما نكس الثور رأسه لغرس قرنيه، ارتد فويتيس إلى الخلف، وقد انضمت ذراعه إلى بعضهما بعضاً وارتفعتا، وتلامست يداه، وهبطت الرايتان إلى أسفل خطين حمراوين، ومائلاً إلى الأمام، دفع الخدين في كتف الثور، مائلاً إلى الأمام فوق قرني الثور مديراً جسمه على العصوين القائمين وقد تلاصقت رجلاه بإحكام وتقوس جسمه إلى أحد الجانبين ليسمح للثور بالمرور .

من الجمهور: "أوليه!"

كان الثور ينطح بعنف، قافزاً كسمكة طروته، وسيقانه الأربع كلها ترتفع عن الأرض . طارت قصبتا الرايتين الحمراوين حينما قفز .

لاحظ مانويل، وهو يقف عند الحاجز، أن الثور ينطح إلى اليمين دائماً .

قال للصبي الذي بدأ يجري نحو فويتيس بالرايتين الجديدتين: "أخبره بأن يفرز الرايتين التاليتين على اليمين" .

حطت يد ثقيلة على كتفيه . كانت يد زوريتو .

سأل: "كيف تشعر يا فتى؟"

كان مانويل يراقب الثور .

مال زوريتو إلى الأمام واتكأ على الحاجز، ملقياً بثقل جسمه على ذراعيه . التفت مانويل إليه .

قال زوريتو: "أنت تعمل جيداً" .

هزّ مانويل رأسه . لم يكن لديه ما يعمله الآن حتى الثالث التالي . كان الغجري ماهراً جداً بالرايات . سيصل إليه الثور في الثالث التالي وهو مهياً له . كان ثوراً جيداً . كان كل شيء سهلاً حتى الآن . كانت الحركة بالسيف هي كل ما ألقه . لم يكن حقاً قلقاً . إنه حتى لم يفكر بها . لكن ، بينما هو واقف هنا ، شعر برهبة ثقيلة . نظر إلى الثور ، مخططاً للقيام بإنجازه ، القيام بعمله بقطعة القماش الحمراء التي ستضعف الثور ، ليصبح سهل القيادة .

كان الغجري يخرج متجهاً نحو الثور مرة أخرى ، ماشياً على عقبه وأصابع قدميه ، بحركات مهينة ، كراقص في قاعة رقص ، وقصبتا الرايتين الحمراءوين تهتان أثناء مشيه . راقبه الثور ، الذي لم يكن مثبتاً ، متصيّداً إياه ، لكنه ينتظر أن يقترب منه قريباً كافياً فيتأكد من الوصول إليه ، وصول قرنيه إليه .

حالما تقدم فويتيس إلى الأمام ، هاجمه الثور . جرى فويتيس عبر ربع دائرة حين هاجمه الثور وحين مرّ جارياً إلى الخلف ، وقف ، دار متجهاً إلى الأمام ، ارتفع على أصابع قدميه ، ذراعه معدودتان إلى الأمام ، وأغرق الرايتين مباشرة إلى أسفل في توتر عضلات الكتف الكبيرة حالما أخطأه الثور .

هاج الجمهور لهذا .

قال رجل ريتانا لزوريتو : " لن يصمد ذلك الفتى في مصارعة الليلة طويلاً " .

قال زوريتو : " إنه جيد " .

- " راقبه الآن " .

راقباه .

وقف فوينتيس وظهره على الحاجز. وقف اثنان من فريق المصارعة خلفه، وكاباهاما جاهزان ليهزاهما من فوق الحاجز لتشتيت انتباه الثور.

كان الثور، ولسانه خارج فمه وجذعه يتنفض، يراقب الفجري. فكّر أنه سينال منه الآن. ظهره على ألواح الخشب الحمراء. هجمة قصيرة فقط. راقبه الثور.

مال الفجري إلى الورا، سحب ذراعيه إلى الخلف، والرايتان تشيران إلى الثور. صاح بالثور، خبط إحدى قدميه بالأرض. ساور الثور شكّ. كان يريد الرجل. لا مزيداً من الأشواك في الكتف.

تقدّم فوينتيس إلى مسافة أقرب من الثور. مال إلى الورا. صاح ثانية. صاح شخص من بين الجمهور محدّراً. قال زوريتو: "إنه قريب جداً".

قال رجل ريتانا: "راقبه".

مائلاً إلى الخلف، مثيراً الثور بالرايتين، قفز فوينتيس، وكلتا قدميه بعيدتين عن الأرض. حالما قفز، ارتفع ذيل الثور وهاجم. حطّ فوينتيس على أصابع قدميه، ذراعه ممدوتان على استقامتهما وكل جسمه مقوس إلى الأمام، ودفع القصبتين إلى أسفل حين دار بجسمه بعيداً عن القرن الأيمن.

اصطدم الثور بالحاجز حيث جذبت الكابات المرففه أنظاره حين أضع الرجل.

جرى الفجري أمام الحاجز نحو مانويل، متلقياً التصفيق من الجمهور. كانت صديريته ممزقة حيث لم يتخلص من حدّ قرن

الثور. كان سعيداً بهذا التمزق، مظهرأ إياه للمشاهدين. قام بدورة حول الحلبة. رآه زوريتو يمرّ قربه، مبتسماً، مشيراً إلى صدريته. ابتسم.

كان شخص آخر يزرع آخر زوج من الرايات. لم ينتبه إليه أحد.

لف رجل ريتانا هراوة داخل قماش إل موليتا الأحمر، طاوياً القماش فوقها، وناولها من فوق الحاجز إلى مانويل. مدّ يده بقراب السيف الجلديّ وأخرج منه سيفاً، فيما هو يمسك بالسيف من قرابة الجلديّ، مدّه من فوق السياج إلى مانويل. سحب مانويل النصل من قرابة ممسكاً بالمقبض الأحمر وسقط القراب على الأرض.

نظر إلى زوريتو. رأى الرجل الضخم أنه يتصبب عرقاً.

قال زوريتو: "ستناله الآن يا فتى".

أوما مانويل برأسه.

قال زوريتو: "إنه مهياً".

أكد له رجل ريتانا: "تماماً كما تريده".

أوما مانويل برأسه.

نفخ نافخ البوق، تحت السطح، معلناً الفصل الختامي، وسار مانويل عبر الحلبة إلى حيث لا بد أن يكون رئيس الجمهورية موجوداً في الأعلى، في المقصورات المظلمة.

في مقاعد الصف الأمامي، شرب ناقد المصارعة البديل في جريدة ال هيرالدو جرعة كبيرة من الشمبانيا الدافئة. قرّر أن من غير المجدي كتابة وصف لما يجري وأنه سيكتب عن المصارعة حين

يعود إلى المكتب . كيف كانت على أي حال؟ مصارعة ليلية فقط .
إذا فاته أي شيء ، سيستخرجه من جرائد الصباح . شرب جرعة
شمبانيا أخرى . كان لديه موعد في مطعم مكسيم في الساعة الثانية
عشرة . مَنْ هم هؤلاء المصارعون على أي حال؟ صبية ومثردون .
حفنة من المثردين . وضع إضامه الورق في جيبه ونظر نحو
مانويل الواقف وحيداً تماماً في الحلبة ، مشيراً بقبعته بتحية نحو
مقصورة لم يستطيع رؤيتها وهي في مكان عالٍ في المدرج المظلم . في
الحلبة ، وقف الثور هادئاً ، ناظراً إلى لاشيء .

- "أهدي هذا الثور إليك ، أيها السيد الرئيس ، وإلى جمهور
مدريد ، أذكى وأكرم جمهور في العالم" . كان هذا ما يقوله مانويل .
إنها صياغة . قالها بكاملها . كانت أطول من اللازم قليلاً بالنسبة
للاستعمال الليلي .

أحنى هامته في الظلام ، أعتدل ، قذف بقبعته فوق كتفه ،
وسار ، حاملاً الـ موليتا في يده اليسرى والسيف في يده اليمنى ،
نحو الثور .

سار مانويل نحو الثور . نظر الثور إليه ؛ عيناه سريعتان . لاحظ
مانويل الطريقة التي تتدلى فيها الرايات من كتف الثور الأيسر
ولمعان الدم النازف الناتج عن نخز زوريتو . لاحظ طريقة أقدام
الثور . فيما كان يسير إلى الأمام ، ممسكاً الـ موليتا بيده اليسرى
والسيف بيده اليمنى ، راقب أقدام الثور . لن يستطيع الثور الهجوم
دون تجميع أقدامه معاً . وقف الآن على أقدامه كلها ، ببلادة .

سار مانويل نحوه ، مراقباً أقدامه . كان هذا على ما يرام . يمكنه
فعل هذا . لا بد أن يعمل حتى ينعكس رأس الثور ، حتى يمكنه أن

يمرّ أمام القرنين ويقتله. لم يفكر بالسيف، ولا بقتل الثور. فكّر في شيء واحد كل مرة. مع أن الأمور القادمة أزعجته. فيما هو يمشي إلى الأمام، مراقباً أقدام الثور، رأى على التوالي عينيه، وخطمه المبلل، وامتداد قرنيه المشيرين إلى الأمام. كانت تحيط بعيني الثور دوائر خفيفة. راقبت عيناه مانويل. أحسّ الثور بأنه سينال من هذا الشيء الصغير ذي الوجه الأبيض.

فيما هو يقف ساكناً وينشر قماش الـ موليتا الأحمر بالسيف، غارزاً حدّه بالقماش حتى يفرد ذلك السيف، المسك به الآن بيده اليسرى، قماش الفانيلا الأحمر مثل شراع قارب، لاحظ مانويل حديّ قرني الثور. كان أحدهما متشظياً من الخبط على الحاجز. كان الآخر حاداً كشوكة قنفذ. لاحظ مانويل وهو يفرد الـ موليتا بأن قاعدة القرن البيضاء ملطخة باللون الأحمر. بينما هو يلاحظ هذه الأشياء لم تغب عن بصره أقدام الثور. ظلّ الثور يراقب مانويل بثبات.

فكّر مانويل: إنه في حالة دفاع الآن. إنه يوفر نفسه. لا بد أن أخرجته من وضعه ذلك وأجعله ينكس رأسه. أجعله ينكس رأسه دائماً. لقد جعله زوريتو ينكس رأسه مرة، لكنه عاد ورفعته. سينزف حين أبدأ بمصارعته وسيجعله هذا ينكس رأسه.

مسكاً بالـ موليتا، والسيف يسراه فارداً إياها أمامه، صاح بالثور.

نظر الثور إليه.

مال إلى الخلف بحركة مهينة وهزّ قطعة الفانيلا المفرودة على مداها.

رأى الثور الـ موليتا . كانت قرمزية ساطعة تحت النور
الكشاف . تضامّت قوائم الثور .

ها هو قادم . ووشش ! دار مانويل حالما اقترب الثور ورفع الـ
موليتا حتى مرّت فوق قرنيّ الثور ومسحت ظهره العريض من
الرأس حتى الذيل . مرّ الثور به دون أن يمسه سوء شاقاً الهواء
بهجومه . لم يتحرك مانويل .
عند نهاية المرور، التفت الثور كقطعة تدور حول ركن وواجه
مانويل .

اتخذ وضع الهجوم ثانية . تلاشى ثقله . رأى مانويل الدم
الطازج متألّقا أسفل الكتف الأسود ويقطر إلى أسفل ساق الثور .
سحب السيف من الـ موليتا وأمسك به في يده اليمنى . والـ
موليتا منخفضة في يده اليسرى ، ومائلاً هو بجسمه إلى اليسار ،
صاح بالثور . توترت سيقان الثور وعيناه على الـ موليتا . فكّر
مانويل : ها هو قادم . يوه !

دار مع الهجوم ، كإنساناً الـ موليتا أمام رأس الثور، وقدماه
ثابتان ، وسيفه يتبع المنحنى ، نقطة نور تحت الأفواس .

أعباد الثور الهجوم وقد انتهى المرور العادي ورفع مانويل الـ
موليتا لحركة مرور صدر . ومانويل مغروساً بثبات ، وصل الثور
إلى قرب صدره تحت الـ موليتا المرفوعة . مال مانويل برأسه إلى
الخلف لتفادي قصبات الرايات المقرّعة . لمس جسم الثور الأسود
الساخن صدره حين مرّ به .

فكّر مانويل : قريب جداً إلى حد اللعنة ، تحدّث زوريتو ،
المتكئ على الحاجز، بسرعة إلى العجري الذي هرول نحو مانويل

ومعه كاب، شدّ زوريتو قبعته إلى أسفل ونظر عبر الحلبة إلى مانويل.

كان مانويل يواجه الثور ثانية، الـ موليتا منخفضة وإلى اليسار. كان رأس الثور منكساً وهو يراقب الـ موليتا. قال رجل ريتانا: "لو كان بيلمونتي هو الذي يقوم بهذه الحركة لجنّ جنونهم".

لم يقل زوريتو شيئاً. كان يراقب مانويل وهو في وسط الحلبة. سأل رجل ريتانا: "أين نبش المعلم عن هذا الشخص؟" قال زوريتو: "في المستشفى".

قال رجل ريتانا: "إلى ذلك المكان سيذهب بسرعة لعينة". التفت زوريتو إليه.

قال مشيراً إلى الحاجز: "أخبط على هذا".

قال رجل ريتانا: "كنت أمزح فقط يا رجل". - "أخبط على الخشب".

مال رجل ريتانا إلى الأمام ونحبط ثلاث مرات على الحاجز. قال زوريتو: "راقب حركة الإنجاز".

في وسط الحلبة وتحت الأضواء، كان مانويل راكعاً، مواجهاً الثور، وحين رفع الـ موليتا في كلتا يديه، هاجم الثور، وذيله إلى أعلى.

دار مانويل بجسمه حول نفسه مبتعداً عن الثور، حين عاود الثور الهجوم، أدار الـ موليتا مكوّنًا نصف دائرة أجبرت الثور على الركوع على ركبتيه.

قال رجل ريتانا: "لماذا، ذلك الرجل مصارع ثيران عظيم".

قال زوريتو: "لا. إنه ليس كذلك".
نهض مانويل واقفاً ثم انحنى والـ موليتا في يده اليسرى
والسيف في يمينه، رداً على التصفيق المنطلق من الساحة المظلمة.
قوس الثور جسمه مرتفعاً به لينهض عن ركبته ووقف منتظراً،
ورأسه يتدلى منكساً.

تحدث زوريتو لصبيّ فريق المصارعة الآخرين فجريا ليقفا
خلف مانويل مع كابيها. أصبح الآن خلفه أربعة رجال. لحق
هيرنانديز به منذ أن خرج لأول مرة حاملاً الـ موليتا. وقف
فويتيس مراقباً، كابه ملتصق بجسمه، طويلاً، هادئاً، مراقباً
عينين كسلانتين. اقترب الاثنان الآن. أشار إليهما هيرنانديز ليقفا
كل منهما إلى كل جانب. وقف مانويل وحيداً مواجهاً الثور.
أشار مانويل للرجال الحاملين الكابات ليتعدوا إلى الخلف.
خطوا بحذر إلى الخلف، رأوا وجهه أبيض ويتعرق.

ألا يفهمون أنهم يجب أن يبقوا بعيدين؟ هل يريدون أن يلفتوا
أنظار الثور بكاباتهم بعد أن نُبت وأصبح مُهياً؟ لديه ما يكفيه بما
يشير قلعه دون مثل هذا النوع من التصرفات.

كان الثور واقفاً، وأقدامه الأربعة تشكّل مربعاً، ناظراً إلى الـ
موليتا. لف مانويل الـ موليتا في يده اليسرى. راقبتها عينا الثور.
كان جسده ثقيلاً على أقدامه. نكس رأسه، لكن، ليس كثيراً.
رفع مانويل الـ موليتا نحوه. لم يتحرك الثور. عيناه فقط
راقبتا.

فكّر مانويل: أصبح كله رصاصاً. أصبح كله مربعاً. أصبح
مُهياً تماماً. سيتلقاها.

فكّر بلغة مصارعة الثيران . أحياناً دارت في خلده أفكار لكن التعابير العامة الخاصة بها لم تخطر في باله فهو لا يستطيع أن يدرك الفكرة . عملتْ غرائزه ومعارفه تلقائياً، وعمل دماغه ببطء وعلى شكل كلمات . كان يعرف كل شيء عن الثيران . لم يكن مضطراً للتفكير فيها . فعَل الشيء الصحيح تماماً . لاحظت عيناه الأشياء وقام جسمه بالإجراءات الضرورية دون تفكير . لو فكّر فيها، لانتهى .

الآن ، مواجهاً الثور، كان يعي أشياء كثيرة في نفس الوقت . هما القرنان ، أحدهما مشطى والآخر حادّ أملس ، الحاجة تدعوه إلى حركة جانبية نحو القرن الأيسر، يقذف بنفسه مسافة قصيرة ومباشرة، يخفض الـ موليتا حتى يتبعها الثور ثم ، وبعد أن يعلو فوق القرنين ، يغرس السيف في بقعة صغيرة بحجم قطعة البيزيتات الخمس في مؤخرة الرقبة تماماً ، بين القمة الحادة لكتفيّ الثور . يجب أن يفعل كل هذا ، ثم يجب أن يفلت خارجاً من بين القرنين . كان مدركاً أنه يجب أن يفعل كل هذا ، لكن تفكيره الوحيد تشكّل في كلمات : " قصيرة ومباشرة / Corto y derecho " .

فكّر : " قصيرة ومباشرة " ، لافاً الـ موليتا . قصيرة ومباشرة . قصيرة ومباشرة . سحب السيف من الـ موليتا ، وتحرك حركة جانبية نحو القرن الأيسر المشطى ، أسقط الـ موليتا على جسمه ، حتى كونت يده اليمنى وبها السيف على مستوى عينيه علامة الصليب ، ثم ، مرتفعاً بجسمه على أصابع قدميه ، رأى في نهاية النصل المائل البقعة العالية بين كتفيّ الثور . بحركة قصيرة ومباشرة قذف بنفسه على الثور .

وقعتُ صدمة، وأحسّ بنفسي يعلو في الهواء. دفع بالسيف وهو يعلو ويحيط فوق الثور، وطار من يده. ارتطم بالأرض وانقض الثور عليه. ومانويل مطروحاً على الأرض، ركل خطم الثور بقدميه المنتعلتين خفيفين. ركل وركل، والثور وراءه، مخطئاً في هياجه، خابطاً إياه برأسه، دافعاً قرنيه في الرمل. راکلاً كرجل يبغي كرةً في الهواء، صدّ مانويل الثور ومنعه من إطلاق دفعة مباشرة عليه.

أحسّ مانويل بالهواء على ظهره من الكابات المرفوعة أمام الثور. ثم ابتعد الثور، تحطاه الثور باندفاع. ظلام، بينما بطن الثور يمرّ فوقه. حتى أنه لم يدس عليه.

نهض مانويل واقفاً على قدميه والتقط الـ موليتا. ناوله فويتيس السيف. كان ملتويّاً حيث صدم نصل الكتف. عدّه مانويل على ركبته وركض نحو الثور الواقف الآن إلى جانب أحد الحصانين الميتين. فيها هو يجري، تطايرت صديرته في المكان الذي تمزقت فيه تحت إبطه.

صاح مانويل بالغجري: "أبعده من هناك". شمّ الثور رائحة دم الحصان الميت، مزقّ غطاء قماش القنب بقرنيه. هاجم كاب فويتيس، وقطعة القنب متدلّية من قرنه المشطّي، وضحك الجمهور. في الحلبة، هزّ الثور بعنف ليخلص نفسه من قماش القنب. أمسك هيرنانديز، راکضاً وراءه، بطرف قماش القنب ورفع عن القرن تماماً.

تبع الثور قطعة القماش بنصف هجوم وتوقف ساكناً. أصبح في وضع الدفاع ثانية. راح مانويل يسير نحوه ومعه السيف والـ

موليتا. لَوَّحَ مانويل بال موليتا أمامه. الثور لن يهاجم.
تحرك مانويل حركة جانبية نحو الثور، ناظراً إلى نصل السيف
الذي يقطر دماً. كان الثور بلا حراك، يبدو ميتاً على قدميه، غير
قادر على القيام بهجوم آخر.

ارتفع مانويل على أصابع قدميه، ناظراً إلى الفولاذ، ثم هاجم.
مرة أخرى وقعت الصدمة وأحس بنفسه محمولاً باندفاع،
ليُضرب بقوة على الرمل. لم تكن هناك فرصة للركل هذه المرة.
كان الثور فوقه تماماً. انطرح مانويل كأنه ميت، ورأسه على
ذراعيه، وخبطة الثور. خبط ظهره، خبط وجهه في الرمل. أحس
بالقرن ينغرس في الرمل بين ذراعيه المطويتين. ضربه الثور في
مستدق ظهره. غطس وجهه في الرمل. اخترق القرن أحد كمّية
ومزقه الثور وانتزعه. دُفِعَ مانويل بعيداً ولحق الثور بالكابات.

وقف مانويل، وجد السيف وال موليتا، جرب حافة السيف
بإبهامه، ثم جرى نحو الحاجز لأخذ سيف جديد.
ناوله رجل ريتانا السيف من فوق حافة الحاجز.
قال: "إمسح وجهك".

مسح مانويل، جانياً مرة أخرى نحو الثور، وجهه الدامي
بمنديله. لم يرَ زوريتو. أين زوريتو؟

خطا فريق المصارعة بعيداً عن الثور وانتظروا ومعهم كاباتهم.
وقف الثور، ثقيلاً وخامد المهمة مرة أخرى بعد الفعل.

سار مانويل نحوه ومعه ال موليتا. وقف وهزها. لم يستجب
الثور. مرّها يميناً ويساراً، يساراً ويميناً أمام خطم الثور. راقبتها
عينا الثور واستدار مع اهتزازها، لكنه لن يهاجم. كان ينتظر

مانويل .

كان مانويل قلقاً . لم يكن ما يفعله سوى أن يصرع . قصيرة ومباشرة . اقترب بحركة جانبية من الثور، مرر الـ موليتا أمام جسمه وهاجم . حين دفع بالسيف، أطاح بجسمه إلى اليسار ليفلت من القرن . مرّ الثور به وطار السيف في الهواء، متلاتاً تحت الأنوار الكشافة، ليسقط أحمر المقبض على الرمل .

جرى مانويل والتقطه . كان ملتوياً فعدّله فوق ركبته . حين تقدم راكضاً نحو الثور . المثبت مرة أخرى الآن . مرّ بهيرنانديز الواقف ومعه كابه .

قال الفتى مشجعاً: " كله عظام " .

أوما مانويل، ماسحاً وجهه . دس منديله الدموي في جيبه . ها هو الثور . أصبح قريباً من الحاجز الآن . اللعنة عليه . ربما كان كله عظاماً . ربما لا يوجد أي مكان للسيف لينغرس فيه . إلى الجحيم عدم وجود مكان! سيرهم .

حاول أن يمر مع الـ موليتا لكن الثور لم يتحرك . هز مانويل الـ موليتا إلى الخلف والأمام أمام الثور . لم تفعل شيئاً .

طوى الـ موليتا، سحب السيف، سار بحركة جانبية وغرسه في الثور . أحسّ بالسيف يلتوي وهو يغرسه، ملقياً بثقله عليه، ثم طار في الهواء، وحده إلى أعلى نحو الجمهور . كان مانويل قد ارتج فالتأ والسيف يقفز .

أخطأته أول الوسائد المقذوفة من الظلام . ثم أصابت إحداها وجهه، وجهه الدامي المواجه للجمهور . كانت تنهال هابطة بسرعة . متشرة على الرمل . ألقى أحدهم قنينة شامبانيا فارغة من

مسافة قصيرة. أصابت قدم مانويل. وقف هناك مراقباً الظلام الذي تنطلق منه الأشياء. ثم أزعج شيء في الهواء وصدمه. انحنى مانويل والتقطه. كان سيفه. عدله فوق ركبته وأشار به نحو الجمهور.

قال: "شكراً لكم. شكراً لكم".

أوه، أولاد الحرام القذرون! أولاد الحرام القذرون! أوه، أولاد الحرام القذرون المقمّلون! تعثر بوسادة وهو يجري.
ها هو الثور. كما كان من قبل تماماً. حسناً، أنت يا ابن الحرام القذر المقمّل.

مرر مانويل ال موليتا أمام خطم الثور الأسود.
لاشيء يفعله.

لن تفعل. حسناً خطأ مقرباً وضرب قمة ال موليتا الحادة بخطم الثور المبلل.

جثم الثور عليه وهو يقفز متراجعاً وحين تعثر بوسادة أحس بالقرن يخترقه، في جنبه. قبض على القرن بكلتا يديه وتراجع إلى الخلف، متشبهاً بشدة بالمكان. قذف به الثور فتحرر. تمدد ساكناً. كانت الحال على ما يرام. كان الثور قد ابتعد.

نهض وهو يسعل ويشعر بأنه مكسور وممتبه. أولاد الحرام القذرون!

صاح: "أعطني السيف. أعطني القماش".

تقدم فويتيس بال موليتا والسيف.

أحاطه هيرنانديز بذارعه.

قال: "إذهب إلى المصححة يا رجل. لا تكن أبله لعيناً".

قال مانويل: "حلّ عني . إذهب إلى الجحيم بعيداً عني " .
تلوى متحرراً منه . هز هيرانانديز كتفيه . جرى مانويل نحو
الثور .

ها هو الثور واقف هناك ، ثقيلاً ، مغروساً بثبات .
حسنأ ، أنت يا ابن الحرام! سحب مانويل السيف من الـ
موليتا ، ناظراً إليه مع نفس الحركة ، وألقى بنفسه على الثور . أحسّ
بالسيف ينغرس كله . حتى وأقي المقبض . أربع أصابع وإبهامه في
الثور . كان الدم حاراً على عقل أصابعه ، ثم علا ظهر الثور .
ترنح الثور معه وهو على ظهره ، وبدا أنه يغطس ؛ ثم وقف
متحرراً من الثور . نظر إلى الثور ينهار ببطء على جنبه ، ثم فجأة
أربع أقدام في الهواء .

ثم أشار إلى الجمهور ، ويده دافئة من دماء الثور .
حسنأ يا أولاد الحرام! أراد أن يقول شيئاً ، لكنه بدأ يسعل .
كان الطقس حاراً وخانقاً . خفض نظره بحثاً عن الـ موليتا . يجب
أن يتقدم ويحيي الرئيس . رئيس جحيم! كان يجلس ناظراً إلى شيء
ما . كان الثور . أقدامه الأربعة إلى أعلى . لسان غليظ خارجاً .
أشياء تزحف في أنحاء بطنه وتحت سيقانه . زاحفة حيث كان الشعر
خفيفاً . ثور ميت . إلى الجحيم بالثور! إلى الجحيم بهم جميعاً! أخذ
بنهض على قدميه وبدأ يسعل . جلس مرة أخرى ، ساعلاً . أتى
شخص ورفع له لينهض .

حملوه عبر الحلبة إلى المصح ، راكضين معه عبر الرمل ، وقفوا
ساذين البوابة والبغال تدخل الحلبة ، ثم حول المكان تحت الممر
المعتم ، والرجال يزمجرون وهم يحملونه مرتقين الدرج ، ثم مددوه

على الأرض.

كان الطبيب ورجلان يرتديان ملابس بيضاء في انتظاره. وضعوه على الطاولة. كانوا يمزقون قميصه. أحس مانويل بالتعب. صدره كله يشتعل في داخله. أخذ يسعل فألصقوا شيئاً بفمه. كان الكل مشغولين تماماً.

سطع نور كهربائي في عينيه. أغمض عينيه. سمع شخصاً يأتي بخطى ثقيلة جداً مرتقياً الدرج. ثم لم يسمع هذا. ثم سمع ضجعة بعيدة. كان ذلك الجمهور. حسناً، شخص ما سيقتل ثوره الآخر. لقد مزقوا كل قميصه ونزعوه. ابتسم الطبيب له. كان ريتانا هناك.

قال مانويل: "مرحباً يا ريتانا!" لم يسمع صوته. ابتسم ريتانا له وقال شيئاً. لم يسمعه مانويل. وقف زوريتو إلى جانب الطاولة، منحنيماً فوق المكان الذي يعمل الطبيب فيه. كان في ملابس النخاز، بلا قبعته. قال له زوريتو شيئاً. لم يسمعه مانويل.

كان زوريتو يتكلم مع ريتانا. أحد الرجلين المرتدين الملابس البيضاء ابتسم وناول ريتانا مقصاً. أعطاه ريتانا لزوريتو. قال زوريتو شيئاً لمانويل. لم يسمعه.

إلى الجحيم بطاولة العمليات هذه! لقد وُضع على كثير من طاولات العمليات من قبل. لن يموت؟ سيكون هناك قسيس لو كان سيموت.

كان زوريتو يقول شيئاً له. رافعاً المقص. ذلك ما كان. كانوا سيقصون ضفيرته ذيل الخنزير. كانوا

سيقصون صغيرته ذيل الخنزير.
جلس مانويل معتدلاً على طاولة العمليات . خطا الطبيب إلى
الخلف ، غاضباً . أمسك به أحدهم وثبته .
قال : " لا يمكنك فعل شيء كذلك يا مانوس " .
سمع فجأة ؛ بوضوح ، صوت زوريتو .
قال زوريتو : " ذلك حسن . لن أفعل هذا . كنتُ أمزح " .
قال مانويل : " كنتُ أعمل جيداً . لم يحالفني أي حظ . ذلك كل
شيء " .

استلقى مانويل على ظهره . وضعوا شيئاً على وجهه . كان كل
هذا مألوفاً . نشق بعمق . كان تعباً جداً . كان تعباً جداً جداً .
أبعدوا الشيء عن وجهه .
قال مانويل بوهن : " كنتُ أعمل جيداً . كنتُ أعمل على نحو
عظيم " .

نظر ريتانا إلى زوريتو واتجه نحو الباب .
قال زوريتو : " سأبقى هنا معه " .
هز ريتانا كتفيه .
فتح مانويل عينيه ونظر إلى زوريتو .
سأل ، للتأكد : " ألم أعمل جيداً يا مانوس ؟ " .
قال زوريتو : " أكيد . كنتُ تعمل على نحو عظيم " .
وضع مساعد الطبيب القمع على وجه مانويل ونشق هو بعمق .
وقف زوريتو وقفه خرقاء ، مراقباً .

في بلاد أخرى

في الخريف ظلّت الحرب دائماً ناشبةً هناك، لكننا لم نعد نشارك فيها. كان الطقس بارداً في الخريف في ميلانو وحلّ الظلام مبكراً جداً. ثم اشتعلت الأنوار الكهربائية، فكانت مبهجةً على طول الشوارع المطلّة على النوافذ. كانت توجد كثير من الطرائد تتدلى خارج الدكاكين، وارتش ذرور الثلج في فرو الثعالب وأطارت الريح ذبولها. تدلّى الغزال متبيساً وثقيلاً وفارغاً، وطارت طيور صغيرة في الريح وقلبت الريح ريشها. كان خريفاً بارداً وهبت الريح هابطة من الجبال.

كنا كلنا نتواجد في المستشفى بعد ظهر كل يوم، وكانت توجد طرق مختلفة للمشي عبر البلدة ساعة الغسق إلى المستشفى. كان طريقان منها على طول جانب قنوات، لكنهما كانا طويلين. لكنك كنت دائماً تعبر جسراً فوق قناة لتدخل المستشفى. كان هناك اختيار لثلاثة جسور. على أحدها امرأة تبيع كستناء مشوية. كان مما يشيع الدفاء الوقوف أمام نار فحمها، وكانت الكستناء دافئة بعد ذلك في جيبك. كان المستشفى قديماً جداً وجميلاً جداً، وتدخل من بوابة وتمشي عبر الفناء وتخرج من بوابة على الجانب الآخر. وتجري عادة جنازات تنطلق من الفناء. وراء المستشفى القديم تقع أجنحة الأجر الجديدة، وهناك نلتقي بعد ظهر كل يوم وكنا كلنا مؤدبين جداً

ومهتمين بمجريات الأمور، ونجلس في الآلات التي كانت ستحدث تغييراً كبيراً جداً.

تقدم الطبيب من الآلة حيث كنتُ أجلس وقال: "ماذا أحببتَ أن تفعل أكثر من أي شيء آخر قبل الحرب؟ هل مارست رياضة؟"

قلت: "نعم، كرة القدم".

قال: "حسن. ستصبح قادراً على أن تلعب كرة القدم ثانية أفضل من السابق".

لا تنحني ركبتي وتسقطُ ساقي مستقيمة من الركبة حتى الكاحل دون بطة رجل، وكان على الآلة أن تنحني الركبة وتجعلها تتحرك كما في ركوب دراجة ثلاثية العجلات. لكنها لم تنحني حتى الآن، وبدلاً من هذا تحيد الآلة فجأة حين تصل إلى الجزء المنحني. قال الطبيب: "سيزول كلُّ هذا. أنت شاب محظوظ. ستلعب كرة القدم ثانية كبطل".

في الآلة المجاورة يتعالج رائد له يد صغيرة كيد طفل رضيع. غمز بعينه إليّ حين فحص الطبيب يده، التي كانت بين شريطين جلديين يثبان إلى أعلى وأسفل ويخبطان الأصابع المتيبسة، وقال: "وهل سألعب أنا أيضاً كرة القدم أيها الطبيب النقيب؟" كان لاعب سيف عظيم جداً وكان قبل الحرب، أعظم مشاقف في إيطاليا.

ذهب الطبيب إلى مكتبه في الغرفة الخلفية وأحضر صورة فوتوغرافية بيّنت يداً ذبلت متضائلة إلى أن أصبحت صغيرة كيد الرائد، قبل أن تأخذ دورة علاج بالآلة، وبعد ذلك أصبحت أكبر

قليلاً. أمسك الرائد بالصورة بيده السليمة ونظر إليها بحرص شديد. سأل: "جرح؟"

قال الطبيب: "حادث صناعي".

قال الرائد: "مثير للاهتمام جداً. مثير جداً"، وناولها للطبيب.
- "لديك ثقة بالنفس؟"

قال الرائد: "لا".

كان هناك ثلاثة فتیان يأتون كل يوم وكانوا في مثل سني تقريباً. كان الثلاثة كلهم من ميلانو، وأحدهم كان سيصبح حمامياً، وآخر سيصبح رساماً، والثالث نوى أن يصبح جندياً، وبعد أن كنا ننتهي من الآلات، نمشي أحياناً عائدين معاً إلى مقهى كوفاء، الذي كان مجاوراً لسكالا. كنا نمشي على الطريق القصير عبر الحي الشيوعي لأننا كنا أربعة معاً. كرهنا الناس لأننا كنا ضباطاً، ومن دكان نبيذ يصبح شخص بصوت عالٍ: 'A basso gli ufficiali / ضباط حقيرون' كلما مررنا. وكان فتى آخر يمشي معنا أحياناً ليرفع عددنا إلى خمسة وهو يضع منديلاً حريراً أسود على وجهه لأنه لم يكن لديه أنف حينذاك وسيُعاد تركيبه. كان قد انضم إلى الجبهة من الأكاديمية العسكرية وجرح في غضون ساعة بعد أن ذهب إلى خط الجبهة لأول مرة. أعادوا بناء وجهه، لكنه ينحدر من عائلة عريقة فلم يضعوا الأنف الصحيح بالضبط. سافر إلى أمريكا الجنوبية وعمل في مصرف. لكن هذا حدث منذ وقت طويل جداً، وحينئذ لم يعرف أيّ منا كيف ستسير الأمور فيما بعد. عرفنا حينذاك فقط بأن الحرب دائماً ناشبة، لكننا لم نعد نشارك فيها. كانت لدينا كلنا نفس الميداليات، ما عدا الفتى بعصبة الحرير

السوداء على وجهه، فهو لم يبق في الجبهة مدة تكفي للحصول على أي ميدالية. كان الفتى ذو الوجه الشاحب جداً والذي سيصبح محامياً ملازماً أول في جيش أرديتي ولديه ثلاث ميداليات من نفس النوع الذي لدى كل واحد منا واحدة منها فقط. عاش مدة طويلة جداً مع الموت وكان منطوياً على نفسه قليلاً. كنا كلنا منطوين قليلاً، ولم يكن هناك ما يجمعنا معاً سوى أننا نلتقي بعد ظهر كل يوم في المستشفى. مع ذلك، وفيما نحن نتجه إلى مقهى كوكا عبر الجزء الخشن من البلدة، ماشين في الظلام، والنور والغناء يخرجان من محلات التبيد، ونضطر أحياناً أن نمشي في الشارع حين يتزاحم الرجال والنساء معاً على أرصفة المشاة ويكون علينا أن نشق طريقنا بينهم بالمناكب، كنا نحس بالترابط معاً لوقوع شيء لنا لم يكن هؤلاء الناس، الذين يكرهوننا، يفهمونه.

فهمنا نحن أنفسنا مقهى كوكا، حيث كان غنياً ودافئاً وغير ساطع الإنارة كثيراً، وضاجاً ومدخناً في ساعات معينة، وفيه دائماً فتيات يجلسن إلى الطاولات والصحف المصورة على رف علي الحائط. كانت فتيات مقهى كوكا وطينات غيورات، وقد اكتشفت أن أكثر الناس وطنية في إيطاليا هن فتيات المقاهي - وأنا أعتقد أنهن لازرن وطينات.

كان الفتيان في البدء مؤدبون جداً حيال ميدالياتي وسألوني عما فعلته لأحصل عليها. أريتهم الأوراق التي كتبت بلغة جميلة جداً وهي مليئة بـ *fratellanza - abnegazion* / الأخوة وإنكار الذات لكنها قالت فعلاً، بعد حذف النعوت، بأنني منحت الميداليات لأنني كنت أمريكياً. بعد ذلك تغير سلوكهم قليلاً نحوِي، مع أنني كنت

صديقهم ضد الغرباء. كنتُ صديقاً، لكنني لم أكن واحداً منهم بالفعل بعد أن قرأوا التنويهات، لأن الوضع كان مختلفاً معهم وقاموا بأعمال مختلفة تماماً لنيل ميدالياتهم. لقد جُرحتُ، كان هذا صحيحاً؛ لكننا نعرف كلنا أن إصابتك بجرح، بعد كل هذا، هو حقاً حادث. لم أخجل أبداً من الأشرطة، مع أنني، وأحياناً، بعد ساعة الكوكتيل، أتخيل نفسي بأنني قمتُ بكل الأعمال التي قاموا بها لنيل ميدالياتهم؛ لكن وأنا أمشي عائداً إلى البيت ليلاً عبر الشوارع الخاوية والرياح الباردة تهبّ وكل الدكاكين مغلقة، محاولاً البقاء قرب أنوار الشوارع، عرفتُ أنني ما كنتُ سأقوم بمثل تلك الأعمال أبداً، وكنتُ خائفاً جداً من أن أموت، وكثيراً ما كنتُ استلقي في السرير ليلاً لوحدي، خائفاً من أن أموت ومتسائلاً كيف سأكون حين أعود إلى الجبهة ثانية.

كان الثلاثة الحائزون على الميداليات يشبهون صقور صيد؛ ولم أكن أنا صقراً، مع أنني قد أبدو صقراً لأولئك الذين لم يارسوا الصيد أبداً؛ عرف، ثلاثتهم، هذا على نحو أفضل لذلك انفصلنا عن بعضنا. لكنني بقيتُ صديقاً حميماً للفتى الذي أصيب في أول يوم له في الجبهة، لأنه ما كان سيعرف أبداً الآن كيف سيتحوّل حاله؛ لذلك لم يُقبَل أيضاً، وقد أحببته لأنني ربما اعتقدتُ أنه لن يتحوّل إلى صقر هو الآخر.

لم يؤمن الرائد، الذي كان مثاقفاً عظيماً، بالشجاعة، وأمضى وقتاً طويلاً ونحن نجلس في الآلات مصححاً لي قواعد اللغة لدي. أثنى عليّ لكيفية حديثي بالإيطالية، وتكلمنا معاً بسهولة كبيرة. في أحد الأيام، قلتُ بأن الإيطالية تبدو لي لغة سهلة جداً

حتى أنني لن أولها اهتماماً كبيراً؛ فكل شيء سهل قوله. قال الرائد: "آه. نعم. لماذا، إذن، لا تتخلى عن استعمال قواعد اللغة؟" هكذا تخلينا عن استعمال القواعد، وسرعان ما أصبحت الإيطالية لغة صعبة إلى درجة أنني صرتُ أخشى التحدث إليه إلا وقواعد اللغة تمرّ في ذهني مباشرة.

كان الرائد يتردد بانتظام على المستشفى. لا أعتقد أنه تخلف يوماً واحداً، مع أنني متأكد تماماً من أنه لم يؤمن بالآلات. مرّ وقت لم يؤمن فيه أحد منا بالآلات، وفي أحد الأيام قال الرائد بأنها كلها هراء. كانت الآلات حديثة حينذاك وكنا نحن الذين سنبرهن عليها، قال: "نظرية، مثل أخرى". لم أتعلم قواعد ي، وقال هو بأنني نقمة غبية مستحيلة، وأنه كان أبله ليزعج نفسه بالاهتمام بي. كان رجلاً ضئيلاً ويجلس معتدلاً القامة في كرسيه ويده اليمنى مدسوسة داخل الآله وينظر إلى الأمام إلى الجدار والحزامان يخفقان إلى أعلى وأسفل والأصابع بينهما.

سألني: "ماذا ستفعل حين تنتهي الحرب إذا هي انتهت؟ تكلم نحويًا!"

- "سأذهب إلى الولايات المتحدة".

- "هل أنت متزوج؟"

- "لا، لكنني أمل أن أتزوج".

قال: "يا لك من أبله". بدا غاضباً جداً. "الرجل يجب ألا يتزوج".

- "لماذا يا سنيور ماجيوري؟"

- "لا تدعني: سنيور ماجيوري".

- "لماذا يجب ألا يتزوج الرجل؟"

قال بغضب: "لا يستطيع الزواج.. لا يستطيع الزواج. إذا كان سيفقد كل شيء، فإنه يجب ألا يضع نفسه في وضع يخسر فيه ذلك. يجب ألا يضع نفسه في وضع ليخسر. يجب أن يجد أشياء لا يخسرها".

تكلم بغضب ومرارة شديدتين، ونظر إلى الأمام تماماً وهو يتكلم.

- "لكن لماذا سيخسرها بالضرورة؟"

قال الرائد: "سيخسرها". كان ينظر إلى الحائط. ثم خفض بصره إلى الآلة وهز يده الصغيرة مخرجاً إياها من بين الحزامين وصفعها بشدة على فخذه. كاد يصرخ: "سيخسرها.. لا تجادلني!" ثم نادى على الملاحظ الذي يشغل الآلات: "تعال وأوقف هذا الشيء اللعين".

عاد إلى داخل الغرفة الأخرى للعلاج الخفيف والتدليك. ثم سمعته يسأل الطبيب إذا كان يمكنه استعمال هاتفه وأغلق الباب. حين عاد إلى الغرفة، كنتُ أجلس في آلة أخرى. كان يرتدي معطفه الفضفاض ويعتمر طاقيته، واتجه مباشرة نحو آلي ووضع ذراعه على كتفي.

قال: "أنا آسف جداً"، وربت على كتفي بيده السليمة. "لن أكون فظاً. ماتت زوجتي لتوها. يجب أن تسامحني".

قلت: "أوه"، شاعراً بالأسف من أجله. "أنا آسف جداً".

وقف هناك عاصباً شفته السفلى. قال: "إنه صعب جداً. لا أستطيع أن أصبر نفسي".

نظر مباشرة ورائي ومن خلال النافذة. ثم بدأ يبكي. قال وقد شرق بالدموع: "إنني عاجز تماماً عن أن أصبر نفسي". ثم، باكياً، ورأسه إلى أعلى، ناظراً إلى لاشيء، متحاملاً على نفسه معتدلاً وكجندي، والدموع على كلتا وجنتيه وعاضاً شفتيه، مشى متجاوزاً الآلات وخرج من الباب.

أخبرني الطبيب بأن زوجة الرائد، التي كانت صغيرة السن جداً ولم يتزوجها إلا بعد أن أصبح مريضاً جداً وأعفي من الحرب نهائياً، ماتت هي من التهاب رئوي. مرضت لبضعة أيام فقط. لم يتوقع أحد بأنها ستموت. لم يحضر الرائد إلى المستشفى لثلاثة أيام. ثم أتى في الساعة المعتادة، واضعاً شريطاً أسود على كم بزته العسكرية. حين عاد، كانت قد علقت صور فوتوغرافية كبيرة مؤطرة على الجدار، عن كل أنواع الجروح قبل وبعد أن شُفيت بالآلات. أمام الآلة التي يستعملها الرائد علقت ثلاث صور أيدٍ كيدة استعادت شكلها تماماً. لم أعرف من أين حصل الطبيب عليها. لقد فهمتُ دائماً بأننا كنا أول من استعمل الآلات. لم تشكل الصور الكثير من الفرق للرائد لأنه كان ينظر إلى خارج النافذة فقط.

تلال كَفِيلَة بِيضاء

كانت التلال عبر وادي إييرو طويلة وبيضاء. على هذا الجانب، لم يوجد ظلّ ولا أشجار وكانت المحطة بين خطين من سكة حديد تحت الشمس. لصق هذا الجانب من المحطة امتد ظلّ المبنى الدافئ وتدلّى ستار مصنوع من خيوط خرز خيزرانية على الباب المفتوح إلى داخل المشرب، ليُقي الذباب في الخارج. جلس الأمريكي والفتاة المرافقة له إلى طاولة في الظل، خارج المبنى. كان الطقس حاراً جداً والقطار السريع سيصل من برشلونة خلال أربعين دقيقة. إنه يتوقف عند هذا التقاطع لمدة دقيقتين ثم يذهب إلى مدريد.

سألت الفتاة: "ماذا سنشرب؟" كانت قد خلعت قبعتها ووضعتها على الطاولة.

قال الرجل: "الطقس حار جداً".

- "لنشرب بيرة".

قال الرجل من خلال الستارة: "Dos cervezas / اثنان بيرة".

سألت امرأة من فتحة الباب: "كبيرتان؟"

- "نعم. كأسان كبيرتان".

أحضرت المرأة كأسين من البيرة وقاعدتين لبأديتين. وضعت اللبأديتين وكأسي البيرة على الطاولة ونظرت إلى الرجل والفتاة. كانت الفتاة تنظر بعيداً إلى خط التلال. كانت بيضاء في الشمس

والأرض بنيةً وجافة.

قالت: "تبدو كفيّلة بيضاء".

- "لم أرَ فيلاً أبيض قط"، شرب الرجل بيرة.

- "لا. ما كنتَ لتراها".

قال الرجل: "قد أكون رأيتها. لأنك تقولين إنني ما كنت

سأرها لا يبرهن على أي شيء".

نظرت الفتاة إلى ستارة الخرز. قالت: "لقد رسموا شيئاً عليها.

ماذا يقول؟"

- "Anis del Toro / أنيس دِل تورو. إنه شراب".

- "هل يمكننا تجربته؟"

نادى الرجل من خلال الستارة: "إسمعي".

خرجت المرأة من المشرب.

- "أربعة رياليس".

- "نريد اثنين من أنيس دِل تورو".

- "بالماء؟"

- "هل تريدينه بالماء؟"

قالت الفتاة: "لا أعرف. هل هو لذيذ بالماء؟"

- "إنه على ما يرام".

سألت المرأة: "تريدانها بالماء؟"

- "نعم. بالماء".

قالت الفتاة: "له مذاق عرق سوس"، ووضعت الكأس على

الطاولة.

- "تلك هي الحال مع كل شيء".

قالت الفتاة: "نعم. لكل شيء مذاق عرق سوس. خصوصاً كل الأشياء التي انتظرتُها لمدة طويلة جداً، مثل الأيسينث".
- "أوه، أنني الموضوع".

قالت الفتاة: "لقد بدأتُ أنتَ. كنتُ مستمتعة. كنتُ أمضي وقتاً جيداً".

- "حسناً، لنحاول قضاء وقت جيد".

- "حسناً. كنتُ أحاول. قلتُ إن الجبال تشبه فيلّة بيضاء. ألم يكن ذلك ذكياً؟"

- "ذلك كان ذكياً".

- "أردتُ أن نجرب هذا الشراب الجديد. ذلك كل ما نفعله، أليس كذلك - ننظر إلى الأشياء ونجرب مشروبات جديدة".
- "أظن هذا".

نظرتُ الفتاة عبر التلال.

قالت: "إنها تلال جميلة. إنها لا تبدو حقاً كفيلة بيضاء. عنيتُ فقط تلوّن جلدها خلال الأشجار".

- "هل نشرب شراباً آخر؟"

- "حسناً".

دفعتُ الريح الدافئة ستارة الخرز نحو الطاولة.

قال الرجل: "البيرة رائعة وباردة".

قالت الفتاة: "إنها جميلة".

قال الرجل: "إنها حقاً عملية بسيطة جداً يا جيج Jig. إنها حقاً

ليست عملية على الإطلاق".

نظرتُ الفتاة إلى الأرض التي استقرتُ قوائمُ الطاولة عليها.

- "أعرف أنك لن تبالي يا جيج . إنها حقاً ليست شيئاً . إنها فقط تركّ الهواء يدخل " .
لم تقل الفتاة شيئاً .
- " سأذهب معك وسأبقى معك طيلة الوقت . سيدعون الهواء يدخل فيكون كل شيء طبيعياً تماماً " .
- " ثم ما الذي سنفعله بعد ذلك؟ " .
- " سنكون في وضع جيد بعد ذلك . تماماً كما كنا من قبل " .
- " ما الذي يجعلك تفكر هكذا؟ " .
- " ذلك هو الأمر الوحيد الذي يضايقنا . إنه الشيء الوحيد الذي جعلنا غير سعداء " .
نظرت الفتاة إلى ستارة الخرز، مدت يدها وأمسكت بخيطين من الخرز.
- " وترى عندئذ أننا سنكون على ما يرام وسعداء " .
- " أعرف أننا سنكون كذلك . يجب ألا تخافي . لقد عرفت الكثير من الناس الذين أجروها " .
قالت الفتاة: " وأنا عرفت . وبعد ذلك أصبحوا سعداء جداً " .
قال الرجل: " حسناً، إذا كنت لا تريدين إجرائها، فلست ملزمة بإجرائها . لن أجبرك على إجرائها إذا كنت لا تريدين إجرائها . لكنني أعرف أنها سهلة تماماً " .
- " وأنت حقاً تريد إجرائها؟ " .
- " أرى أنها أفضل شيء نفعله . لكنني لا أريد منك إجرائها إذا لم تريدي حقاً إجرائها " .
- " وإذا أجريتها ستكون الأمور كما كانت وستحبني؟ " .

- "إنني أحبك الآن. أنتِ تعرفين أنني أحبك".
- "أعرف هذا. لكن، إذا أجريتها، هل سيكون رائعاً إذا قلتُ بأن بعض الأشياء تشبه فيلة بيضاء، وستحب هذا؟"
- "سأحب هذا. إنني أحب هذا الآن، لكنني لا أستطيع التفكير فيه. أنتِ تعرفين كيف أكون حين أحسّ بالقلق".
- "إذا أجريتها لن تحسّ بالقلق أبداً؟"
- "لن أحسّ بالقلق بشأن تلك لأنها سهلة جداً".
- "إذن، سأجرها. لأنني لا يهمني أمر نفسي".
- "ماذا تعنين؟"
- "لا يهمني أمر نفسي".
- "لكن، أنا يهمني أمر نفسك".
- "أوه. نعم. لكن، لا يهمني أنا أمر نفسي. وسأجرها فتسير كل الأمور سيراً حسناً".
- "لا أريد أن تجربها إذا كنتِ تفكرين على ذلك النحو".
نهضت الفتاة واقفة وسارت إلى نهاية المحطة. على الجانب الآخر امتدت حقول حبوب وأشجار على ضفتي نهر إيبرو. بعيداً، وراء النهر، كانت جبال. تحرك ظل سحابة عبر حقل الحبوب ورأت النهر من خلال الأشجار.
قالت: "ويصبح لدينا كل هذا. ونستطيع أن ننال كل شيء وكل يوم نجعله مستحيلاً أكثر".
- "ماذا قلت؟"
- "قلت إننا نستطيع أن ننال كل شيء".
- "نستطيع أن ننال كل شيء".

- "لا، لن نستطيع".
- "نستطيع أن نملك كل العالم".
- "لا، لن نستطيع".
- "نستطيع الذهاب إلى كل مكان".
- "لا، لن نستطيع.. إنه لم يعد عالمنا".
- "إنه عالمنا".
- "لا، إنه ليس عالمنا. فحالمنا يأخذونه مرةً، أنت لا تستعيده أبداً".
- "لكنهم لم يأخذوه".
- "سنتنظر ونرى".
قال: "عودي إلى الظل، يجب ألا تفكري على ذلك النحو".
قالت الفتاة: "أنا لا أفكر على أي نحو. أنا أعرف الأشياء فقط".
- "لا أريدك أن تفعلي شيئاً لا تريدين أن تفعليه".
قالت: "ولا ما هو غير جيد لي. أعرف. هل نشرب بيرة أخرى؟"
- "حسناً. لكن يجب أن تدركي".
قالت الفتاة: "أنا أدرك. ألا نستطيع الكف عن الكلام؟"
جلسا إلى الطاولة ونظرت الفتاة عبرها إلى التلال على الجانب الجاف من الوادي ونظر الرجل إليها ونظر إلى الطاولة.
قال: "يجب أن تدركي بأنني لا أريدك أن تجرّيها إذا لم تريدي. أنا راغب تماماً في أن أمضي بها حتى النهاية إذا كانت تعني أي شيء لك".

- "ألا تعني شيئاً لك؟ نستطيع التصرف".
- "طبعاً هي تعني شيئاً لي. لكنني لا أريد أحداً إلاك. لا أريد
أي إنسان آخر. وأنا أعرف أنها سهلة تماماً".
- "نعم أنت تعرف بأنها بسيطة تماماً".
- "إنه لحسن لك أن تقولي ذلك، لكنني أعرف هذا فعلاً".
- "هل تقدم شيئاً إلي الآن؟"
- "أنا أفعل أي شيء لك".
- "هل تسمح رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً أن تكفّ عن
الكلام؟"

لم يقل شيئاً لكنه نظر إلى الحقائق عند جدار المحطة. كانت
عليها بطاقات تعريف من كل الفنادق التي أمضيا فيها ليلتهما.
قال: "لكنني لا أريدك أن تجريها، لا يهمني أي شيء يتعلق
بها".

قالت الفتاة: "سأصرخ".
خرجت المرأة من وراء الستائر بكأسي بيرة ووضعتها على
اللبادتين الرطبتين. قالت: "يصل القطار خلال خمس دقائق".
سألت الفتاة: "ماذا قالت؟"

- "بأن القطار سيصل خلال خمس دقائق".
ابتسمت الفتاة ابتسامة مشرقة للمرأة، لتشكرها.
قال الرجل: "يجسن أن أنقل الحقائق إلى الجانب الآخر من
المحطة". ابتسمت له.

- "حسناً. ثم عد وسنهي البيرة".
التقط الحقيبتين الثقيلتين وحملها ودار بهما حول المحطة إلى

الخطوط الأخرى. نظر إلى الخطوط لكنه لم يرَ القطار. بعدما عاد، مشى عبر قاعة المشرب، حيث كان الناس المنتظرين للقطار يشربون. شرب كأس أنيس على نضد حاجز المشرب ونظر إلى الناس. كانوا كلهم ينتظرون القطار على نحو عقلائي. خرج من خلال ستارة الخرز. كانت تجلس إلى الطاولة وابتسمت له.

سأل: "هل تحسین بتحسّن؟"

قالت: "أحس بأنني في حال حسنة. لا يوجد أي شيء مزعج. أحسّ بأنني في حال حسنة".

القَتلة

انفتح باب قاعة الأكل في محل هنري ودخل رجلان . جلسا على كرسيين إلى جانب النضد الحاجز.

سألها جورج: "ما طلبكما؟"

قال أحد الرجلين: "لا أعرف . ماذا تريد أن تأكل يا آل؟"

قال آل: "لا أعرف . لا أعرف ما أريد أن أكل".

في الخارج بدأ الظلام يخيم . أضواء نور الشارع في خارج النافذة . قرأ الرجلان الجالسان إلى النضد الحاجز قائمة الطعام . من الطرف الآخر للحاجز راقبهما نك آدمز . كان يتحدث إلى جورج حينما دخلا .

قال الرجل الأول: "أريد قطعة مشوية من خاصرة خنزير مع صلصة تفاح وبطاطا مهروسة".

- "ليست جاهزة بعد".

- "أي جحيم جعلك تضعها في القائمة؟"

أوضح جورج: "ذلك هو العشاء . تحصل عليها في الساعة السادسة".

نظر جورج إلى الساعة على الجدار خلف النضد الحاجز.

- "إنها الساعة الخامسة".

قال الرجل الثاني: "تقول الساعة الخامسة وعشرين دقيقة".

- "إنها متقدمة بعشرين دقيقة".

قال الرجل الأول: "أوه، إلى الجحيم بالساعة. ماذا لديك للأكل؟"

قال جورج: "يمكنني إعطاء كما أي نوع من الشطائر. يمكنكما أخذ فخذ خنزير وبيض، لحم خنزير مقدّد وبيض، كبدة ولحم خنزير مقدّد أو شريحة لحم بقر".

- "أعطني مفركة دجاج مع بازلاء خضراء وصلصة قشدة وبطاطا مهروسة".

- "ذلك هو العشاء".

- "كل ما نطلبه هو العشاء، إيه؟ تلك هي الطريقة التي تعملون بها؟"

- "يمكنني تقديم فخذ خنزير وبيض، خنزير مقدّد وبيض، كبدة".

قال الرجل المدعو آل: "سأخذ لحم خنزير وبيض". كان يعتمر قبعة مستديرة ديرية ويلبس معطفاً طويلاً أسود مزرر على الصدر. كان وجهه صغيراً وأبيض وله شففتان مزمومتان. كان يضع لفاع رقبة حريري وقفاز.

قال الرجل الآخر: "أعطني لحم خنزير مقدّد وبيض". كان حوالي حجم آل. كان وجهها مختلفين، لكنها كانا يلبسان كتوأمين. كل منهما لبس معطفاً طويلاً وضيّقاً جداً عليها. جلسا مائلين إلى الأمام، مرفقاها على الحاجز.

سأل آل: "عندك أي شيء للشرب؟"

قال جورج: "بيرة فضية، بيغو، جعة زنجيل".

- "أعني عندك أي شيء للشرب؟"
- "فقط ذلك الذي قلته".
قال الآخر: "هذه بلدة حارة. ماذا يدعونها؟"
- "سمت".
سأل آل صديقه: "سمعتَ بها من قبل؟"
قال صديقه: "لا".
سأل آل: "ما الذي تفعلونه هنا في الليالي؟"
قال صديقه: "يأكلون العشاء. كلهم يأتون إلى هنا ويأكلون العشاء الهائل".
قال جورج: "ذلك صحيح".
سأل آل جورج: "إذن أنت ترى أن ذلك صحيح؟"
- "أكيد".
- "أنت ولد ذكي جداً، أليس كذلك؟"
قال جورج: "أكيد".
قال الرجل الآخر الضيئل: "حسناً، أنت لست ذكياً. أليس كذلك يا آل؟"
قال آل: "إنه غبي". التفت إلى نك. "ما اسمك؟"
- "آدمز".
قال آل: "ولد ذكي آخر. أليس هو ولد ذكي يا ماكس؟"
قال ماكس: "البلدة مليئة بالأولاد الأذكياء".
وضع جورج الطبقين الكبيرين، واحد من لحم فخذ خنزير وبيض، الآخر من لحم خنزير مقدد وبيض، على النضد الحاجز.
وضع طبقين جانبيين صغيرين من بطاطا مقلية وأقفل الخوخة المطلة

على المطبخ .

سأل آل : "أيها لك؟"

- "ألا تذكر؟"

- "لحم فخذ خنزير وبيض ."

قال ماكس : "ولد ذكي تماماً" . مال إلى الأمام وأخذ لحم فخذ الخنزير والبيض . أكل كلا الرجلين وقفازاهما على أيديهما . راقبهما جورج وهما يأكلان .

نظر ماكس إلى جورج : "ما الذي تنظر إليه؟"

- "لا شيء" .

- "إلى جحيم كنتَ تنظر . كنتَ تنظر إليّ" .

قال آل : "ربما قصدَ الولد هذا كمزحة يا ماكس" .

ضحك جورج .

قال ماكس له : "يجب ألا تضحك . يجب ألا تضحك أبداً، ترى

هذا؟"

قال جورج : "حسن" .

التفتَ ماكس إلى آل . "إذن هو يظن أن الأمر حسن . يفكر أنه

حسن . ذلك أمر جيد" .

قال آل : "أوه إنه مفكر" . تابعا الأكل .

سأل آل ماكس : "ما اسم الولد الذكي أسفل الحاجز؟"

قال ماكس لنك : "هيه، أيها الولد الذكي . دُر أنت إلى الجانب

الآخر من الحاجز مع صديقك" .

سأل نك : "ما الفكرة؟"

- "لا توجد أي فكرة" .

قال آل: "يحسن أن تدور أيها الولد الذكي". دار نك خلف
الحاجز.

سأل جورج: "ما الفكرة؟"

قال آل: "ليس من شأنك اللعين. مَنْ في المطبخ؟"
- "الزنجي".

- "ماذا تعني الزنجي؟"

- "الزنجي الذي يطبخ".

- "قل له أن يدخل".

- "ما الفكرة؟"

- "قل له أن يدخل".

- "أين تظن نفسك؟"

قال المدعو ماكس: "نحن نعرف جيداً كلعنة أين نحن. هل
نبدو بلهاء؟"

قال آل له: "أنت تتكلم بلاهة. لأي جحيم تجادل هذا الولد؟"
قال لجورج: "إسمع. قل للزنجي أن يخرج ويأتي إلى هنا".
- "ما الذي ستفعله به؟"

- "لا شيء. استعمل عقلك أيها الولد الذكي. ما الذي ستفعله
بزنجي؟"

فتح جورج الشقّ الذي يفتح على المطبخ. نادى: "سام. تعال
إلى هنا دقيقة".

انفتح باب المطبخ ودخل الزنجي. سأل: "ماذا؟" ألقى
الرجلان الجالسان إلى النضد الحاجز نظرة عليه.
قال آل: "حسناً يا زنجي. قف أنت هناك تماماً".

نظر سام الزنجي، الواقف بمئزرته، إلى الرجلين الجالسين إلى
النضد الحاجز. قال: "نعم يا سيدي". نزل آل عن كرسيه.
قال: "سأرجع إلى المطبخ مع الزنجي والولد الذكي. عد إلى
المطبخ يا زنجي". أنت تذهب معه أيها الولد الذكي". مشى الرجل
الضئيل وراء نك وسام، الطباخ، راجعين إلى داخل المطبخ. انغلق
الباب وراءهم. جلس الرجل المدعو ماكس إلى النضد الحاجز أمام
جورج. لم ينظر إلى جورج لكنه نظر في المرأة المثبتة خلف النضد.
كان محل هنري قد حوّل من صالون إلى مطعم مأكولات خفيفة.
قال ماكس وهو ينظر في المرأة: "حسناً أيها الولد الذكي، لماذا لا
تقول شيئاً؟"

- "حول ماذا كل هذا؟"

نادى ماكس: "هيه يا آل، يريد الولد الذكي أن يعرف معنى كل
هذا".

جاء صوت آل من المطبخ: "لماذا لا تجرب؟"

- "ما الذي ترى معنى كل هذا؟"

- "لا أعرف".

- "ما الذي تفكر فيه؟"

واصل ماكس النظر في المرأة طيلة الوقت الذي كان يتكلم فيه.

- "لن أقول".

- "هيه، آل، يقول الولد الذكي بأنه لن يخبرنا بما يفكر به عن

معنى كل هذا".

قال آل من المطبخ: "أنا أسمعك، تماماً". دَفَع وفتح الشق

الذي تمر منه الأطباق إلى المطبخ مع قنينة صلصة. قال من المطبخ

لجورج: "إسمع أيها الولد الذكي . قف أبعد قليلاً على الحاجز.
تحرك قليلاً إلى اليسار يا ماكس" . كان كمصوّر يرتب لأخذ صورة
جماعية .

قال ماكس: "قل لي أيها الولد الذكي . ما الذي تفكر بأنه
سيحدث؟"

لم يقل جورج شيئاً.
قال ماكس: "سأخبرك . سنقتل سويدياً . هل تعرف سويدياً
ضخماً يسمى أولي أندرسون؟"
- "نعم" .

- "يأتي إلى هنا ليأكل كل ليلة ، أليس كذلك؟"

- "أحياناً يأتي إلى هنا" .

- "يأتي إلى هنا في الساعة السادسة ، أليس كذلك؟"

- "إذا أتى" .

قال ماكس: "نحن نعرف كل هذا أيها الولد الذكي . تكلم عن
شيء آخر . تذهب إلى دور العرض؟"
- "من وقت إلى آخر" .

- "يجب أن تذهب إلى دور العرض أكثر . دور العرض جيدة
لولد ذكي مثلك" .

- "لماذا ستقتلان أولي أندرسون؟ ما الذي فعله بكما؟"

- "لم تتح له أي فرصة لفعل أي شيء بنا . إنه حتى لم يرنا
أبداً" .

قال آل من المطبخ: "وسيرانا فقط مرة واحدة" .

سأل جورج: "لماذا ستقتلانه ، إذن؟"

- "سنتله من أجل صديق . فقط لنقدم خدمة لصديق أيها الولد
الذكي " .

قال آل من المطبخ : "إخرس . أنت تتكلم كثيراً جداً إلى حد
لعين " .

- "حسن . لا بد أن أسلي الولد الذكي . أليس كذلك أيها الولد
الذكي؟"

قال آل : " أنت تتكلم كثيراً جداً إلى حد لعين . الزنجي وولدي
الذكي يسليان نفسيهما . قيدتهما كصديقتين في دير " .

- "أظن أنك كنت في دير " .

- "لن تعرف هذا أبداً " .

- "كنت في دير يهودي . هناك كنت بالتأكيد " .

رفع جورج نظره إلى الساعة .

- "إذا دخل أي شخص أخبره بأن الطباخ خرج ، إذا بقي
بعدئذ ، أخبره بأنك ستدخل المطبخ وتطبخ بنفسك . فهمت ذلك
أيها الولد الذكي؟"

قال جورج : "تمام . ما الذي ستفعلانه بنا بعد ذلك؟"

قال ماكس : "ذلك يعتمد . ذلك أحد تلك الأمور التي لن
تعرفها أبداً إلا في وقتها " .

رفع جورج نظرة إلى الساعة . كانت السادسة وربع . انفتح
الباب من الشارع . دخل سائق سيارة أجرة .

قال : "مرحباً يا جورج . أيمكنني تناول العشاء؟"

قال جورج : "خرج سام . سيعود بعد حوالي نصف ساعة " .

قال السائق : "يحسن أن أذهب إلى أعلى الشارع " . نظر جورج

إلى الساعة. كانت السادسة وعشرين دقيقة.
قال ماكس: "كان ذلك حسناً أيها الولد الذكي. أنت شاب
مهذب منظم".

قال آل من المطبخ: "عَرَفَ أنني كنت سأنسف رأسه".
قال ماكس: "لا. ليس كذلك. الولد الذكي جيد. إنه ولد
جيد. أنا أحبه".

في الساعة السادسة وخمس وخمسين قال جورج: "إنه لن يأتي".
دخل شخصان آخران قاعة الطعام. مرةً، دخل جورج المطبخ
وأعد شطيرة لحم فخذ خنزير مع بيض أراد رجل أن يأخذها معه.
داخل المطبخ رأى آل، وقبعته المستديرة الديرية مرفوعة إلى
الخلف، جالساً على كرسي عالٍ إلى جانب الخوخة وفوهة بندقية
رشاشة تتركز على الرف. التصق ظهر نك بظهر الطباخ في ركن
المطبخ، وفوطة ربطت في فم كل منهما. سخن جورج الشطيرة،
لقها بورقة مزيّنة، دسها في كيس، أخرجها معه إلى الصالة، دفع
الرجل ثمنها وخرج.

قال ماكس: "الولد الذكي يمكنه أن يفعل كل شيء. يستطيع
الطبخ وكل شيء. ستجعل من فتاة زوجة رائعة أيها الولد
الذكي".

قال جورج: "نعم. صديقك، أولي أندرسون، لن يأتي".

قال ماكس: "سنعطيه عشر دقائق".

راقب ماكس المرأة والساعة. أشار عقربا الساعة إلى الساعة
السابعة، ثم خمس دقائق بعد السابعة.

قال ماكس: "هيا يا آل. يحسن أن نذهب. لن يأتي".

قال آل من المطبخ: "يحسن أن نعطيه خمس دقائق".
خلال الخمس دقائق دخل رجل، فأوضح جورج أن الطباخ مريض.

سأل الرجل: "لماذا بحق الجحيم لا تأتوا بطباخ آخر؟ ألا تديرون قاعة طعام؟" خرج.
قال ماكس: "هيا يا آل".

- "ماذا بشأن الولدين الذكيين والزنجي؟"

- "إنهم على ما يرام".

- "تظن هذا؟"

- "أكيد. انتهينا من العملية".

قال آل: "أنا لا أحبها. إنها قذرة. أنت تتكلم كثيراً جداً".
قال ماكس: "أوه، أي جحيم. لا بد أن نظل متسلين، أليس كذلك؟"

قال آل: "أنت تتكلم كثيراً جداً، على أي حال". خرج من المطبخ. كوّنت ماسورتا البندقية المقطوعتان نتوءاً خفيفاً تحت خصر معطفه الطويل الضيق جداً. مسد معطفه بيديه المقفرتين.

قال لجورج: "وداعاً أيها الولد الذكي. لديك حظ كبير".

قال ماكس: "تلك هي الحقيقة. يجب أن تراهن في السباق أيها الولد الذكي".

خرج كلاهما من الباب. راقبهما جورج، من النافذة، يمران تحت النور القوسّي ويعبران الشارع. بمعطفيهما الطويلين الضيقين وقبعتيهما المستديرتين الديربيتين بديا كفريق تمثيل تهريجي. عاد جورج إلى المطبخ من الباب الدوار وحل رباط نك والطباخ.

قال سام، الطباخ: "لا أريد أكثر من ذلك. لا أريد أكثر من ذلك".

وقف نك. لم توضع في فمه فوطة من قبل.
قال: "قل. ما هذا الجحيم؟" كان يحاول أن يبعد ما جرى عن ذهنه.

قال جورج: "كانا سيقتلان أولي أندرسون. كانا سيطلقان عليه النار حين يدخل ليأكل".
- "أولي أندرسون؟"
- "أكيد".

تحسس الطباخ زاويتي فمه بإبهاميه.
سأل: "ذهب كلاهما؟"

قال جورج: "نعم. ذهبيا الآن".
قال الطباخ: "أنا لا أحب هذا. أنا لا أحب أياً منه إطلاقاً".
قال جورج لنك: "إسمع. يحسن أن تذهب وترى أولي أندرسون".
- "تمام".

قال سام، الطباخ: "يحسن ألا تتورطا بهذا إطلاقاً. يحسن أن تبتعدا عنه".

قال جورج: "لا تذهب إذا كنت لا تريد".
قال الطباخ: "تدخلكما في هذا لن يوصلكما إلى أي مكان. إبقيا خارجه".

قال نك لجورج: "سأذهب لأراه. أين يعيش؟"
ابتعد الطباخ.

قال: "يعرف الأولاد الصغار دائماً ما يريدون فعله".
قال جورج لنك: "إنه يعيش في نزل هيرش لتأجير الغرف
المفروشة".

- "سأذهب إلى هناك".

في الخارج، لمع النور القوسيّ خلال فروع شجرة عارية. مشى
نك في الشارع إلى جانب مسارات السيارات ودار عند عمود النور
القوسي التالي متجهاً إلى شارع جانبيّ. على بُعد ثلاثة منازل في
أعلى الشارع يقع نزل هيرش لتأجير الغرف المفروشة. ارتقى نك
الدرجتين وضغط على الجرس. جاءت امرأة إلى الباب.

- "هل أولي أندرسون هنا؟"

- "هل تريد أن تراه؟"

- "نعم، إذا كان في الداخل".

تبع نك المرأة مرتقياً مجموعة درجات ليدور سائراً إلى نهاية
الرواق. طرقت الباب.

- "من؟"

قالت المرأة: "إنه شخص يريد أن يراك يا مستر أندرسون".

- "إنني نك آدمز".

- "أدخل".

فتح نك الباب ودخل الغرفة. كان أولي أندرسون مستلقياً على
السريّر ومرتبدياً كامل ملابسه. كان ملاكماً محترفاً من الوزن الثقيل
وأطول من السريّر. استلقى ورأسه على وسادتين. لم ينظر إلى
نك.

سأل: "ما الأمر؟"

قال نك: "كنتُ في مطعم هنري، وأتى رجلان أوثقاني أنا والطباخ، وقالاً إنهما سيقتلانك".
بدا كلامه سخيماً حين قال هذا. لم يقل أولي أندرسون شيئاً.
تابع نك: "حجزونا في المطبخ. كانا سيطلقان النار عليك حين تدخل للعشاء".

نظر أولي أندرسون إلى الحائط ولم يقل شيئاً.
- "رأى جورج بأنه يحسن أن آتي وأخبرك بهذا".
قال أولي أندرسون: "لا يوجد شيء أستطيع فعله حيال هذا".
- "سأخبرك عن أوصافهما".
قال أولي أندرسون: "لا أريد أن أعرف أوصافهما". نظر إلى الحائط. "شكراً لمجيئك لتخبرني بهذا".
- "ذلك حسن".

نظر نك إلى الرجل الضخم المستلقي على السرير.
- "ألا تريد مني أن أذهب وأرى الشرطة؟"
قال أولي أندرسون: "لا. لن يفيد هذا في شيء".
- "ألا يوجد شيء يمكنني أن أفعله؟"
- "لا. لا يوجد أي شيء نفعله".
- "قد تكون مجرد خدعة".
- "لا. ليست مجرد خدعة".
تقلب أولي أندرسون نحو الحائط.
قال، متكليماً إلى الحائط: "الشيء الوحيد هو أنني فقط لم أقرر أن أخرج. بقيتُ هنا طيلة النهار".
- "ألا يمكنك مغادرة المدينة؟"

قال أولي أندرسون: "لا. لقد أنتهيت من كل ذلك الجري من مكان إلى آخر".

نظر إلى الحائط.

- "لا يوجد أي شيء أفعله الآن".

- "ألا يمكنك تسوية هذا بطريقة من الطرق؟"

قال بنفس الصوت السطحي الخافت: "لا. تورطت في الخطأ.

لا يوجد أي شيء أفعله. بعد وهلة سأقرر الخروج".

قال نك: "يحسن أن أذهب وأرى جورج".

قال أولي أندرسون: "إلى اللقاء". لم ينظر نحو نك. "شكراً

على حضورك".

خرج نك. فيها هو يغلق الباب، رأى أولي أندرسون في كامل

ملابسة، مستلقياً على السرير ناظراً إلى الحائط.

قالت صاحبة النزل في الطابق الأرضي. "ظلّ في غرفته طيلة

النهار. أظن أنه متوعدك. قلتُ له: 'سيد أندرسون، لا بد أن تخرج

وتتمشى في يوم خريفي جميل كهذا'. لكنه لم يكن راغباً في هذا".

- "إنه لا يريد أن يخرج".

قالت المرأة: "أنا آسفة لأنه متوعدك. إنه رجل لطيف جداً. كان

في الحلبّة، أنت تعرف هذا".

- "أعرف هذا".

قالت المرأة: "لن تعرف هذا أبداً إلا من شكل وجهه". وقفا

يتحدثان داخل باب الشارع تماماً. "إنه مهذب تماماً".

قال نك: "حسناً، تصبحين على خير يا مسز هيرش".

قالت المرأة: "أنا لست مسز هيرش. إنها تملك المكان. أنا أقوم

فقط بالعناية به لها . أنا مسز بيل " .
قال نك : " حسناً . تصبحين على خير يا مسز بيل " .
قالت المرأة : " تصبح على خير " .
سار نك في الشارع المظلم متجهاً إلى الركن تحت أعمدة النور
القوسّي ، ثم على خط السيارات متجهاً إلى مطعم هنري . كان
جورج في الداخل ، خلف النضد الحاجز .
- " هل رأيت أولي؟ " -
قال نك : " نعم . إنه في غرفته ولن يخرج " .
فتح الطباخ الباب من المطبخ حين سمع صوت نك .
قال : " أنا حتى لا أصغي إلى هذا " ، وأغلق الباب .
سأل جورج : " هل أخبرته بهذا؟ " -
- " أكيد . أخبرته لكنه يعرف كل شيء حول هذا " .
- " ما الذي سيفعله؟ " -
- " لا شيء " .
- " سيقتلونه " .
- " أظن أنهم سيقتلونه " .
- " لا بد أنه تورط في شيء ما في تشيكاجو " .
قال نك : " أظن هذا " .
- " إنه شيء جهنمي " .
قال نك : " إنه شيء رهيب " .
لم يقولا شيئاً . مدّ جورج يده إلى فوطة ومسح النضد الحاجز .
قال نك : " أتساءل ، ما الذي فعله؟ " -
- " خان شخصاً ما . لذلك السبب يقتلونهم " .

قال نك : " سأغادر هذه البلدة " .
قال جورج : " نعم . ذلك شيء حسن تفعله " .
- " لا أحتمل التفكير فيه منتظراً في غرفته عارفاً بأنه سيُقتل . إنه
وضع رهيب لعين جداً " .
قال جورج : " حسناً ، يحسن ألا تفكر بهذا " .

CHE TI DICEL PATRIA

ماذا يقول الوطن؟

كان طريق الممر الجبلي صلباً وممهّداً ولم يكن مترباً بعدُ في هذه الساعة المبكرة من الصباح. في الأسفل امتدت التلال التي كستها أشجار بلوط وكستناء، بعيداً في الأسفل امتد البحر. في الجانب الآخر انتصبت جبال مكسوة بالثلوج.

هبطنا من الممر الجبلي عبر أرض تغطيها الغابات. تكوّمت أكياس من الفحم النباتي على جانب الطريق، وخلال الأشجار رأينا أكواخ الفحّامين. كان يوم أحد وجرى الطريق، صعوداً ونزولاً، لكنه دائماً هابطاً بعيداً عن ارتفاع الممر الجبلي، عبر أجمة الشجيرات الخفيفة وبين قرى.

خارج القرى انتشرت كروم العنب. كانت الكروم بنية والأعناق خشنة وكثيفة. كانت البيوت بيضاء، والرجال في الشوارع، في ملابس الأحد، يلعبون كرات البولة bowls. قرب جدران بعض البيوت انتشرت أشجار كمثرى، امتدت فروعها كشمعدانات متشعبة على الجدران البيضاء. رُشت أشجار الكمثرى، فتلطخت جدران البيوت ببقع خضراء مزرقة معدنية من بخار الرش. امتدت أراضٍ مكشوفة صغيرة حول القرية حيث ينمو العنب، ثم الغابات.

في قرية، تعلو عشرين كيلومتراً فوق سيبزيا، تجمع جمهور من الناس في الساحة، واقترب شاب يحمل حقيبة سفر من السيارة وطلب منا أن نأخذه إلى سيبزيا.

قلت: "يوجد مكانان فقط، وهما مشغولان". كانت لدينا سيارة فورد قديمة من نوع كوبيه.

- "سأركب في الخارج".

- "لن تكون مرتاحاً".

- "لا يهم. يجب أن أذهب إلى سيبزيا".

سألتُ جاي: "هل نأخذه؟"

- "يبدو أنه سيذهب على أي حال". أدخل الشابُ صرة من خلال النافذة.

قال: "اعتنِ بهذه". ربط رجلان حقيبته على ظهر السيارة فوق حقائبنا. صافح الكل، موضحاً أنه بالنسبة إلى فاشي ورجل اعتاد على السفر كما هي الحال معه نفسه لا يوجد إزعاج، ثم تسلق رفرف الأقدام على الجانب الأيسر من السيارة، متشبثاً بداخل السيارة، وذراعه اليمنى داخل النافذة المفتوحة.

قال: "يمكنك الانطلاق". لوّح الجمهور. لوّح هو بيده الطليقة.

سألني جاي: "ماذا قال؟"

- "أنا يمكننا الانطلاق".

قال جاي: "أليس هو لطيفاً؟"

تبع الطريقُ نهراً. عبر النهر ارتفعت جبال. كانت الشمس تخرج الصقيع من العشب. كان الجو مشرقاً وبارداً والهواء يهب

بارداً من حاجب الريح المفتوح.

- "كيف ترى مدى رضاه عن الخارج هناك؟" كان جاي يرفع نظره إلى الطريق. كانت رؤيته لخارج جانب السيارة محجوباً من قبل ضيفنا. نأ الشاب من جانب السيارة كتمثال مقدمة سفينة. كان قد رفع ياقة معطفه إلى أعلى وشدّ قبعته إلى أسفل وبدأ أنفه بارداً في الريح.

قال جاي: "قد يأخذ كفايته منها. ذلك هو الجانب الذي يتأطر عليه صعلوكنا".

قلت: "أوه، سيتركنا إذا انفجرت إحدى إطاراتنا. لن يرضى بأن تتسخ ملابسه للسفر".

قال جاي: "حسناً. لا أبالي به - ماعدا ميلانه إلى الخارج عند المنعطفات".

اختفت الغابة؛ ابتعد الطريق عن النهر ليصعد عالياً، كان المشع يغلي؛ بدا الشاب قلقاً وشكّ بالبخار والماء الصديء؛ وكان المحرك يصّر، وكلتا قدمي جاي على دواسة السرعة الأولى، أعلى فأعلى، إلى الخلف وإلى الأمام، أعلى، وأخيراً، امتد الطريق مستوياً. توقف الصرير، وفي الهدوء الحديد انطلقت خضخضة وبقبقة عاليتين في المشع. كنا على قمة آخر سلسلة فوق بلدة سبيزيا والبحر. انحدر الطريق بمنعطفات قصيرة ودائرية تماماً. تدلى ضيفنا مع أماكن الدوران وكاد يسحب السيارة ثقيلة القمة معه.

قلت لجاي: "لا يمكنك أن تطلب منه ألا يفعل ذلك. إنه إحساسه بغيرية البقاء".

- "الإحساس الإيطالي العظيم".

- "أعظم إحساس إيطالي".
هبطنا حول منعطفات، عبر غبار عميق، والغبار يذّر أشجار
الزيتون. امتدت سببزيا تحت على طول البحر. انبسط الطريق
خارج البلدة. أدخل ضيفنا رأسه من النافذة.
- "أريد أن أتوقف".
قلتُ لجاي: "أوقفها".
أبطأنا، على جانب الطريق. نزل الشاب، ذهب إلى مؤخرة
السيارة وحلّ حقيبة الملابس.
قال: "سأتوقف هنا، حتى لا تتورطا في متاعب حملكما
مسافرين. أمتعتي".
ناولته أمتعته. دسّ يده في جيبه.
- "كم أنا مدين لكما؟"
- "لا شيء".
- "لم لا؟"
قلت: "لا أعرف".
قال الشاب: "شكراً"، ليس "أشكركما" أو "أشكركما شكراً
جزيلاً" أو "أشكركما ألف شكر"، كلمات كنت في السابق تقولها
في إيطاليا لرجل حين يناولك جدول مواعيد أو يوضح اتجاهها.
نطق الشاب أقل صيغة شكر للكلمة: "شكراً" وألقى وراءنا بنظرة
شك وجاي ينطلق بالسيارة. لوّحت بيدي له. كان أعظم من أن
يرد. تابعنا إلى سببزيا.
قلتُ لجاي: "ذلك شاب سيقطع طريقاً طويلاً في إيطاليا".
قال جاي: "حسناً، قطع عشرين كيلومتراً معنا".

وجبة طعام في سبيزيا

وصلنا إلى سبيزيا باحثين عن مكان لنأكل . كان الشارع عريضاً والمنازل عالية وصفراء . تبعنا خط الترام إلى وسط المدينة . على جدران المنازل طُبعت صور موسوليني جاحظة العيون ، وعلامات " فيفا " مرسومة باليد ، وحرف ٧ المزدوج بطلاء أسود مع قطرات دهان أسفل الجدار . هبطت الشوارع الجانبية إلى المرفأ . كان الجو مشرقاً وكان كل الناس قد خرجوا ليوم الأحد . كان الرصف الحجري قد رُشّ وانتشرت بقع مبلّلة على التراب . اقتربنا من حافة الطريق لتتجنب عربة ترام .

قال جاي : " لنأكل في مكان بسيط " .

وقفنا أمام علامتيّ مطعمين . كنا نقف على الجانب الآخر من الشارع واشتريتُ أنا الجرائد . كان المطعمان جنباً إلى جنب . ابتسمتُ لنا امرأة تقف في فتحة باب أحد المطاعم وعبرنا الشارع ودخلنا .

كان الداخل معتماً وفي مؤخرة الغرفة وُجدتُ ثلاث فتيات كن يجلسن إلى طاولة مع امرأة عجوز . على الجانب الآخر منا ، إلى طاولة أخرى ، جلس بحار . جلس هناك دون أن يأكل أو يشرب . على مسافة أبعد إلى الخلف ، كان شاب ببذلة زرقاء يكتب على طاولة . كان شعره مدهوناً بمرهم عطري ولامعاً وكان أنيقَ الملبس جداً وحسن المظهر .

تسلل النور من فتحة الباب ، ومن خلال النافذة حيث ربت

الخضار والفاكهة وشرائح وقطع اللحم في خزانة عرض . أنت فتاة وسجّلت طلباتنا ووقفت فتاة أخرى في فتحة الباب . لاحظنا أنها لم تلبس شيئاً تحت رداها المنزلي . وضعت الفتاة التي أخذت طلباتنا ذراعها حول رقبة جاي بينما كنا ننظر في قائمة الطعام . كانت توجد ثلاث فتيات في المجموع ، وتبادلن كلهن الأدوار بالذهاب والوقوف في فتحة الباب . تحدثت المرأة العجوز الجالسة إلى الطاولة في مؤخرة الغرفة إليهن وجلسن معها ثانية .

لم توجد فتحة باب تؤدي إلى الغرفة ما عدا المؤدية إلى المطبخ . تدلّت ستارة عليه . دخلت الفتاة التي سجّلت طلباتنا من المطبخ مع سباجيتي . وضعت على الطاولة وأحضرت قنينة نبيذ أحمر وجلست إلى الطاولة .

قلت لجاي : " حسناً . أردت الأكل في مكان بسيط " .

- " هذا ليس بسيطاً . هذا معقد " .

قالت الفتاة : " ماذا تقولان ؟ هل أنتما ألمانيان ؟ "

قلت : " ألمانيان جنوبيان . الألمان الجنوبيون أناس لطفاء ، محبوبون " .

قالت : " لم أفهم " .

سأل جاي : " ما هي آليات هذا المكان ؟ هل أدعها تضع ذراعها

حول رقبتى ؟ "

قلت : " أكيد . لقد ألغى موسوليني المواخير . هذا مطعم " .

لبست الفتاة فستاناً من قطعة واحدة . مالت إلى الأمام على الطاولة ووضعت يديها على نهدتها وابتسمت . إنها تبتسم من أحد الجانبين على نحو أفضل من الجانب الآخر فأدارت الجانب الجيد

نحونا. أزدادا سحر جانب وجهها الجيد بفعل حادث مما جعل الجانب الآخر من أنفها ناعماً، كما يمكن أن يصبح شمع دافئ ناعماً. لكن أنفها لم يبدُ كشمع دافئ. كان بارداً جداً ومتيناً، لكنه ناعم فقط. سألتُ جاي: "تجني؟"

قلت: "إنه يعبدك. لكنه لا يتكلم الإيطالية".
قالت: "ich spreche deutsch / أنا أتكلم الألمانية"، وربت على شعر جاي.

- "تحدث إلى الفتاة بلغتك الوطنية يا جاي".

سألتُ السيدة: "من أين أنتي؟"

- "بوتسدام".

- "وستبقيان هنا الآن لفترة قصيرة؟"

سألتُها: "في هذه العزيزة جداً سببياً؟"

قال جاي: "أخبرها بأن علينا أن نذهب. أخبرها بأننا مرضى مرضاً شديداً، وليس لدينا نقود".

قلت: "صديقي عدو للنساء. ألماني عتيق كاره للنساء".

- "أخبره أنني أحبه".

أخبرته.

قال جاي: "هل ستقفل فمك وتخرجنا من هنا؟" وضعتُ السيدة ذراعاً أخرى حول عنقه. قالت: "أخبره بأنه لي". أخبرته.

- "هل ستخرجنا من هنا؟"

قالت السيدة: "أنتم تشاجران. أنتم لا يجب أحدكما الآخر".

قلتُ بفخر: "نحن ألمانيان. ألمانيان جنوبيان عتيقان".

قالت السيدة: "قل له إنه فتى جميل". جاي في الثامنة والثلاثين

ويشعر ببعض الفخر لحقيقة أنه يُعتبر بائعاً متجولاً في فرنسا.
قلتُ: "أنتَ فتى جميل".

قال جاي: "مَنْ يقول هذا؟ أنتَ أو هي؟"
- "هي. أنا مجرد مترجمك. أليس لهذا الغرض أخذتني معك في
هذه الرحلة؟"

قال جاي: "أنا سعيد لأنها هي التي قالته. ولا أريد أن أتركك
وحدك هنا أيضاً".

- "لا أدري. سببزيا مكان جميل".

قالت السيدة: "سببزيا. أنتما تتحدثان عن سببزيا".
قلتُ: "مكان جميل".

قالت: "إنها بلدي. سببزيا موطني وإيطاليا بلدي".
- "تقول بأن إيطاليا بلدها".

قال جاي: "قل لها بأنها تبدو بلدها".

سألتها: "ماذا لديكم للتحلية؟"

قالت: "فواكه، لدينا موز".

قال جاي: "الموز على ما يرام. عليه قشور".

قالت السيدة: "آه. سيأخذ موزاً". عانقتُ جاي.

سأل: "ماذا قالتُ؟" مبقياً وجهه بعيداً عن طريقها.

- "هي مسرورة لأنك ستأخذ موزاً".

- "أخبرها بأنني لن آخذ موزاً".

- "السنيور لن يأخذ موزاً".

قالت السيدة منكسرة الخاطر: "آه. لن يأخذ موزاً".

قال جاي: "قل لها إنني آخذ حماماً بارداً كل صباح".

- "السينيور يأخذ حماماً بارداً كل صباح".
 قالت السيدة: "لا ففهم".
 في الجانب الآخر منا، لم يتحرك البحار المسؤول. لا أحد في
 المكان أولاه أي اهتمام.
 قلتُ: "نريد الحساب".
 - "أوه، لا. يجب أن تبقياً".
 قال الشابُ حسن المظهر من الطاولة التي يكتب عليها.
 "إسمعي. دعيهما يغادران. هذان الاثنان لا يساويان شيئاً".
 أخذتُ السيدة يدي: "لن تبقي؟ لن تطلب منه أن يبقي؟"
 قلتُ: "يجب أن نذهب. لا بد أن نصل إلى بيزا، أو إن أمكن،
 إلى فيرينز، الليلة. يمكننا تسلية أنفسنا في تلك المدينتين في نهاية
 النهار. الوقت نهار الآن. في النهار لا بد أن نقطع مسافة".
 - "بقاؤكما لفترة قصيرة حسن".
 - "السفر ضروري في نور النهار".
 قال الشابُ حسن المظهر: "إسمعي. لا تزعجي نفسك
 بالتحدث إلى هذين الشخصين. أقول لك بأنهما لا يساويان شيئاً
 وأنا أعرف هذا".
 قلتُ: "أحضري لنا قائمة الحساب". أحضرتُ قائمة الحساب
 من المرأة العجوز وعادتُ وجلستُ إلى الطاولة. دخلتُ فتاة أخرى
 من المطبخ. عبّرتُ الغرفة ووصلتُ إلى فتحة الباب ووقفتُ فيها.
 قال الشابُ حسن المظهر بصوت مرهق: "لا تزعجي نفسك
 بهذين الشخصين. تعالِي وكلي. إنها لا يساويان شيئاً".
 دفعنا الفاتورة ووقفنا. جلستُ كل الفتيات والمرأة العجوز

والشباب حسن المظهر إلى الطاولة معاً. جلس البحار المسؤول ورأسه بين يديه. لا أحد تكلم إليه طيلة الوقت الذي أمضيناه على الغداء. أحضرتُ إلينا الفتاة باقي نقودنا التي عدتها المرأة العجوز لها وعادتُ إلى مكانها إلى الطاولة. أبقينا نفحة/إكرامية على الطاولة وخرجنا. عندما جلسنا في السيارة مستعدّين للانطلاق، خرجتُ الفتاة ووقفتُ في الباب. انطلقنا ولوحتُ لها. لم تلوّح لنا، لكنها وقفتُ هناك تنظر وراءنا.

بعد المطر

كان المطر يهطل غزيراً حين مررنا عبر ضواحي جنوا، مع أننا كنا نسير ببطء شديد خلف عربات الترام والشاحنات، رذذ الوحل السائل على جانبي ممر المشاة، فكان الناس يخطون مبتعدين إلى مداخل الأبواب وهم يروننا قادمين. في San Pier d Arena سان بيير د أرينا، الضاحية الصناعية خارج جنوا، امتد شارع عريض بمسارين وقدنا سيارتنا في وسط الشارع لتفادي إرسال الوحل إلى الرجال الراجعين إلى بيوتهم من العمل. على يسارنا امتد البحر الأبيض المتوسط. كان يوجد بحر كبير جارياً وأمواج تتكسر والرياح تحمل رشيش الماء إلى السيارة. كان قاع نهر، حين مررنا داخلين إيطاليا، عريضاً وكثير الحجارة وجافاً، يجري بنبي اللون مرتفعاً حتى ضفتيه. غير الماء البني لون البحر والأمواج تخفّ وتصفو في تكسرها، والنور يتخلل الماء الأصفر والقمم، التي أثارها الريح، تهبّ عبر الطريق.

تجاوزتنا سيارة كبيرة، مسرعةً، فتطايرت صفحة ماء موحل
عالياً وفوق شباك حاجز الريح ومشع السيارة. تحرك منظف حاجز
الريح ذاتي الحركة إلى الخلف والأمام، ناشراً الطبقة الرقيقة على
الزجاج. توقفنا وتناولنا الغداء في سيستري. لم يكن في المطعم
حرارة فأبقينا قبعاتنا ومعطفنا علينا. كان بإمكاننا رؤية السيارة في
الخارج، من النافذة. كانت مغطاة بالوحل وأوقفت إلى جانب
بعض الزوارق التي سُحبت بعيداً عن الأمواج. في المطعم كنت
تري أنفاسك.

كانت الـ *pasta asciuta*/المعجنات الجافة لذيدة؛ كان للنيذ طعم
الشبه، فصببنا الماء فيه. بعدئذ أحضر النادل شريحة لحم بقري
وبطاطا مقلية. جلس رجل وامرأة في الطرف القصي من المطعم.
كان متوسط العمر وكانت هي صغيرة السن وتلبس الأسود. طيلة
وجبة الطعام راحت تنفث أنفاسها في الهواء البارد الرطب. كان
الرجل ينظر إلى أنفاسها ويهز رأسه. أكلا دون أن يتكلم وأمسك
الرجل بيدها من تحت الطاولة. كانت جميلة وبديا حزينين جداً.
كانت معها حقيبة سفر.

كانت لدينا الصحف وقرأتُ وصف ملاكمة شنغهاي بصوت
عالٍ لجاي. بعد الوجبة، غادر جاي المحل مع النادل بحثاً عن
مكان لا وجود له في المطعم، ونظفتُ زجاج حاجز الريح، الأنوار
ولوحة الأرقام بخرقة. عاد جاي وقدنا السيارة إلى الورا
وأخرجناها وانطلقنا. كان النادل قد أخذه عبر الطريق إلى داخل
بيت قديم. كان الناس في البيت شكّاكين فبقي النادل مع جاي
ليؤكد من أن شيئاً لم يُسرق.

قال جاي: "مع أنني لم أعرف كيف، وأنا لستُ سبّاكاً، توقعوا أن أسرق شيئاً".

حين صعَدنا إلى رأس بحريّ وراء البلدة، ضربتُ الريحُ السيارة وكادتُ تقلبها.

قال جاي: "هذا جيد، إنها تدفعنا بعيداً عن البحر".

قلتُ: "حسناً. أغرقتُ الشاعر شيلي في مكان ما هنا".

قال جاي: "كان ذلك في الأسفل قرب فياريجييو. هل تذكر الغرض الذي جئنا من أجله إلى هذه البلاد؟"

قلتُ: "نعم. لكننا لم نحصل عليه".

- "سنخرج منها هذه الليلة".

- "لو أمكننا المرور قرب فيتيمليا".

- "سنرى. لا أحب قيادة السيارة على هذا الساحل ليلاً". كان

الوقت ساعة مبكرة من بعد الظهر والشمس اختفت. تحت، كان

البحر أزرق بقمم بيضاء جارياً نحو سافونا. بعيداً وراء لسان البر

تلاقت المياة البنية والزرقاء. أمامنا، اقترب زورق بخاري شارد

نحو الساحل.

سأل جاي: "هل لا زلتَ ترى جنوا؟"

- "أوه، نعم".

- "لا بد أن رأس البر الكبير التالي سيبعدها عن الأنظار".

- "لكن سنراها لمدة طويلة. لا أزال أستطيع رؤية رأس

بورتوفينو خلفها".

أخيراً، لم نعد نرى جنوا. نظرتُ إلى الخلف بعد خروجنا ولم

يكن هناك سوى البحر، وفي الأسفل في الخليج، امتد خط شاطئ

مع قوارب صيد، وفي الأعلى، على جانب تل، استقرت بلدة ثم رؤوس بر بعيداً في أسفل الساحل.

قلتُ لجاي: "اختفتُ الآن".

- "أوه، اختفتُ منذ وقت طويل".

- "لكننا لا يمكننا التأكد إلا بعد أن نخرج من هنا".

كانت هناك علامة عليها صورة منعطف على شكل S. دارت الطريق حول لسان البر وهبَّت الرياح من خلال الشق في زجاج حاجز الرياح. تحت الرأس امتدت قطعة أرض منبسطة إلى جانب البحر. جففتُ الرياحُ الطينَ وبدأتُ العجلات ترفع الغبار. على الطريق المنبسط مررنا بـ فاشي يركب دراجة هوائية، ومسدس ثقيل في جراب على ظهره. حجز وسط الطريق وهو على دراجته فدرنا خارج الطريق لنجتازه. رفع نظره إلينا حين مررنا به. أمامنا وُجد تقاطع سكة حديد، وحين اقتربنا منه هبطتُ بواباته.

فيما نحن ننتظر، اقترب الفاشي على دراجته. ابتعد القطار وشغل جاي المحرك.

صاح رجل الدراجة من وراء السيارة: "انتظر. رقمك قدر".

خرجتُ بخرقة. كان الرقم قد نُظف عند الغداء.

قلت: "تستطيع قراءته".

- "تظن هذا؟"

- "اقرأه".

- "لا أستطيع قراءته. إنه قدر".

مسحته تماماً بالخرقة.

- "كيف هو؟"

- "خمس وعشرون ليرة".
قلت: "ماذا؟ كنت تستطيع قراءته. إنه قذر فقط من حالة الطرق".
- "أنت لا تحب الطرق الإيطالية؟"
- "إنها قذرة".
- "خمسون ليرة". بصق في الطريق. "سيارتكما قذرة وأنتما قذران أيضاً".
- "حسناً. أعطني وصلاً مع اسمك".
أخرج دفتر وصولات، من أصل ونسخه، ومخروم، حتى يُعطي أحد الجانبين للزبون، والجانب الآخر بعد ملئه يبقى ككعب. لم يكن هناك كربون لتسجيل ما كُتِب على ورقة الزبون.
- "أعطني خمسين ليرة".
كتب بقلم لا يُمحي، قطع القطعة وناولها لي. قرأتها.
- "هذه بخمسين وعشرين ليرة".
قال: "غلطة". غير الخمس والعشرين ليرة إلى خمسين.
- "والآن الجانب الآخر. إجعله خمسين في الجزء الذي تستقيه".
ابتسم ابتسامة إيطالية لطيفة وكتب شيئاً على كعب الوصل، مبعداً الدفتر حتى لا أرى.
قال: "انطلق قبل أن يصبح رقمك قذراً مرة أخرى".
قدنا السيارة مدة ساعتين بعد أن حلّ الظلام فنمنا في ميتون في تلك الليلة. بدت مبهجة جداً ونظيفة ومعقولة وجميلة. قدنا السيارة من فينتيميليا إلى بيزا وفلورنسا، عبر رومانيا إلى ريميني،

عائدين عبر فوريي وايمولا وبولونيا وبارما وبياشينزا وجنوا ثم
فينتيميليا مرة أخرى. استغرقت الرحلة كاملة عشرة أيام فقط.
ومن الطبيعي، خلال رحلة قصيرة كهذه، لم تتح لنا فرصة أن نرى
كيف كانت تجري الأمور في هذه البلاد أو مع هذا الشعب.

خمسون قطعة من فئة الألف دولار

سألتُه: "كيف تسير أمورك يا جاك؟"

يقول: "رأيتَ ولُكوت هذا؟"

- "في الملعب فقط."

يقول جاك: "حسناً. سأحتاج إلى الكثير من الحظ مع ذلك الفتى".

قال سولجير: "لن يستطيع أن يهزمك يا جاك".

- "أتمنى حتى الجحيم ألا يستطيع".

- "لن يستطيع هزيمتك بحفنة طلقات طير".

يقول جاك: "ستكون طلقات الطير على ما يرام. لن أهتم بأي طلقات طير".

قلت: "يبدو أن من السهل أن يُهزم".

يقول جاك: "أكيد. لن يصمد طويلاً. لن يصمد مثلي ومثلك

يا جيري. لكن الآن تماماً لديه كل شيء".

- "ستضربه بيدك اليسرى حتى الموت".

يقول جاك: "ربما. أكيد. لدي فرصة لذلك".

- "عاجله كما عاجلتَ رتشي لويس".

قال جاك: "رتشي لويس. ذلك ألكايك!"

كنا ثلاثتنا: جاك برينان وسولجير بارتليت وأنا في مشرب

هاندي. جلستُ امرأتان إلى الطاولة المجاورة لنا. كانتا تشربان.
قالت إحدى المرأتين: "ماذا تعني، كايك. ماذا تعني، كايك،
يا متشرداً إيرلندياً ضخماً؟"
يقول جاك: "أكيد. هذا هو".

تتابع هذه المرأة: "كايك. إنهم دائماً يتكلمون عن الـ كايك،
هؤلاء الإيرلنديون الضخام. ماذا تعني، كايك؟"
- "هيا. لنخرج من هنا".

تتابع المرأة. "كايك مَنْ رَأَى تشتري شراباً في أي وقت؟ زوجتك
تخطط لك جيوبك كل صباح. يا هؤلاء الإيرلنديين وكايك ييهم!
يستطيع رتشي لويس لحسك أيضاً".

يقول جاك: "أكيد. وأنتِ تقدمين أشياء كثيرة مجاناً أيضاً، أليس
كذلك؟"

خرجنا. ذلك كان جاك. كان يقول ما يريد قوله حين يريد
قوله.

بدأ جاك يتدرب في مزرعة داني هوجن الصحية في جيرسي.
كان ذلك المكان جميلاً لكن جاك لم يعجبه كثيراً. لم يحب الابتعاد
عن زوجته وأطفاله، وكان عصبياً ونزقاً أغلب الوقت. أحبني
وسارت أمورنا جيداً معاً؛ أحب هوجن، لكن بعد وهلة بدأ
سولجير بارتليت يثير أعصابه. لا بد أن شخصاً مزاحاً يصبح رهيباً
في أنحاء مخيم إذا أصبح مزاحه نوعاً لاذعاً. كان سولجير دائماً
يمزح مع جاك، مجرد نوع مناكدة ضده طيلة الوقت. لم يكن
مضحكاً جداً ولم يكن جيداً جداً وبدأ يثير أعصاب جاك. كان هذا
النوع من المزاح. كان جاك ينهي الأوزان والحقيبة ويضع القفاز.

يقول لسولجير: "أنتَ تريد أن تعمل؟"
يسأل سولجير: "أكيد. كيف تريدني أن أعمل؟ تريدني أن
أعاملك بخشونة مثل وُلْكوت؟ تريدني أن أطرحك أرضاً بضع
مرات؟"

يقول جاك: "ذلك هو". لم يجب هذا إطلاقاً مع ذلك.
ذات صباح خرجنا كلنا إلى الطريق. ابتعدنا كثيراً والآن عدنا.
ركضنا مسرعين لثلاث دقائق ثم سرنا الهوينى لدقيقة واحدة، ومن
ثم أسرعنا ثلاث دقائق مرة أخرى. لم يكن جاك في يوم من الأيام
ما استدعوه عداءً. كان يتحرك بسرعة كافية في الحلقة إذا كان لا بد
أن يفعل ذلك، لكنه لم يكن سريعاً جداً في الطريق. طيلة الوقت
الذي مشينا فيه ظلّ سولجير يمزح معه. صعدا التل إلى منزل
المزرعة.

يقول جاك: "حسناً. يحسن أن تعود إلى البلدة يا سولجير".

- "ماذا تعني؟"

- "يحسن أن تعود إلى البلدة وتبقي هناك".

- "ما الأمر؟"

- "قرفتُ من سماعك تتكلم".

يقول سولجير: "نعم؟"

يقول جاك: "نعم".

- "ستكون منظراً مقرفاً لعيناً حين ينتهي منك وُلْكوت".

يقول جاك: "أكيد. ربما سأكون. لكنني أعرف أنني قرف

منك".

هكذا غادر سولجير بالقطار إلى البلدة في ذلك الصباح نفسه.

ذهبتُ معه إلى القطار. كان جيداً ومثار الأعصاب.
قال: "كنتُ فقط أمزح معه". كنا ننتظر على الرصيف. "لا
يمكنه أن يشدَّ معي إلى هذا الحد يا جيري".
قلتُ: "إنه عصبيّ ومتكدر. إنه شخص جيد يا سولجير".
- "جحيم هو. جحيم هو إذا كان شخصاً جيداً في أي وقت من
الأوقات".

قلتُ: "حسناً. إلى اللقاء يا سولجير".
كان القطار قد وصل. صعدَ إليه مع حقييته.
يقول: "إلى اللقاء يا جيري. ستكون في البلدة قبل الملائمة؟"
- "لا أعتقد هذا".
- "أراك إذن".

دخل العربة ورفع عامل المحطة الإشارة وخرج القطار. عدتُ
إلى المزورة بالعربة. كان جاك في شرفة المدخل يكتب رسالة إلى
زوجته. كان البريد قد وصل فأخذتُ الصحف وذهبتُ إلى الجانب
الآخر من الشرفة وجلستُ أقرأ. خرج هوجن من الباب. واقترب
مني.

- "هل أثار شجاراً مع سولجير؟"
قلتُ: "ليس شجاراً. طلب منه فقط العودة إلى البلدة".
قال هوجن: "كنتُ أتوقع حدوث هذا. لم يجب سولجير كثيراً
أبداً".

- "لا. إنه لا يجب كثيراً من الناس".
قال هوجن: "إنه شخص بارد جداً".
- "حسناً، كان دائماً لطيفاً معي".

قال هوجن: "ومعي أيضاً. ليس لدي شيء ضده. إنه شخص بارد مع ذلك".

دخل هوجن عبر باب الستارة وجلستُ هناك في شرفة المدخل أقرأ الجرائد. بدأ الجو للتو يصبح طقساً خريفياً وكان الريف جميلاً هناك في جيرسي، عالياً على التلال، وبعد أن قرأتُ الجريدة حتى النهاية جلستُ هناك ونظرتُ بعيداً إلى الريف وإلى الطريق في الأسفل أمام الغابة والسيارات تسير عليه، مثيراً الغبار. كان طقساً جميلاً وريفاً رائع الجمال. اقترب هوجن من الباب وقلتُ: "قُل يا هوجن، أليس لديكم شيء للصيد هنا؟"

قال هوجن: "لا. عصافير دوري فقط".

سألتُ هوجن: "رأيتَ الجريدة؟"

- "ماذا فيها؟"

- "هزم ساندي ثلاثة منهم هزيمةً نكراء أمس".

- "وصلني ذلك بالهاتف ليلة أمس".

سألتُ: "أنت تتابع أخبارهم عن قُرب يا هوجن؟"

قال هوجن: "أوه. أنا أحافظ على الاتصال بهم".

أقول: "ماذا بشأن جاك؟ ألا يزال يلعب؟"

قال هوجن: "هو؟ هل تراه يفعل هذا؟"

عند ذلك تماماً اقترب جاك من الركن والرسالة في يده. كان

يلبس سترة وسروالاً قديماً ويتتعل حذاء ملاكمة.

يسأل: "معك طابع يا هوجن؟"

قال هوجن: "هاتِ الرسالة. سأرسلها لك بالبريد".

قلتُ: "قُل يا جاك، ألم تراهن على السباق؟"

- "أكيد".
- "عرفتُ أنك تراهن. عرفتُ، رأيتُك في ميدان سباق الخيل في تشيبس هيد".
سأل هوجن: "لماذا توقفتَ عن الرهان؟"
- "خسرت".
جلس جاك في شرفة المدخل إلى جانبي. مال إلى الخلف على عمود. أغمض عينيه في الشمس.
سأل هوجن: "تريد كرسياً؟"
قال جاك: "لا. هذا حسن".
قلتُ: "إنه نهار جميل. إنه لحسن تماماً الخروج في الريف".
- "أفضل أن أرى منظراً لعيناً على أن أكون في البلدة مع زوجتي".
- "حسناً. أمامك أسبوع واحد فقط".
يقول جاك: "نعم. هو كذلك".
جلسنا هناك في الشرفة. كان هوجن في الداخل جالساً إلى المكتب.
سألني جاك: "ما رأيك بالهيئة التي أنا عليها؟"
قلت: "حسن، أنت لا تعرف. أمامك أسبوع لتهمي نفسك وتصبح في الشكل المناسب".
- "لا تخدعني".
قلت: "حسناً، أنت لست في حال طبيعية".
قال جاك: "أنا لا أنام".
- "ستصبح على ما يرام خلال بضعة أيام".

قال جاك: "لا. أنا أعاني من الأرق".
 - "ما الذي في ذهنك؟"
 - "أفتقد زوجتي".
 - "أحضرها إلى هنا".
 - "لا. لقد شخْتُ على ذلك".
 - "ستمشي لمسافة طويلة قبل أن تعود فتتحسن وتتعب".
 يقول جاك: "تعب؟ أنا تعب طيلة الوقت".
 ظلَّ على ذلك النحو طيلة الأسبوع. لم يكن ينام في الليل وكان
 ينهض في الصباح وهو يحسُّ على ذلك النحو، أنت تعرف، حين
 لا تستطيع غَلْقَ يديك.
 قال هوجن: "إنه يابس ككعكة الفقراء. إنه لا شيء".
 قلتُ: "لم أرَ ولُكوت أبداً".
 قال هوجن: "سيقتله. سيمزقه إلى نصفين".
 قلتُ: "حسناً. كل إنسان لابد أن يواجه هذا في وقت ما".
 قال هوجن: "ليس على هذا النحو، مع هذا. سيظنون أنه لم
 يتدرَّب أبداً. سيلطَّخ سمعة المزرعة بنقطة سوداء".
 - "تسمع ما قاله المراسلون عنه؟"
 - "ألم أسمع؟ قالوا إنه كان شنيعاً. قالوا إنه يجب ألا يسمحوا له
 بأن يلاكم".
 قلتُ: "حسناً. إنهم دائماً مخطئون، أليس كذلك؟"
 قال هوجن: "نعم. لكنهم هذه المرة مصيبون".
 - "أي جحيم يعرفونه عما إذا كان إنسانٌ على صواب أو لا".
 قال هوجن: "حسناً، إنهم ليسوا بلهاء إلى هذه الدرجة".

- "كل ما فعلوه هو أنهم اختاروا ويلارد في توليدو. لاردنر هذا، إنه حكيم جداً الآن، أسأله متى اختار ولارد في توليدو".
قال هوجن: "أوه، إنه لم يخرج. إنه فقط يكتب عن مباريات الملاكمة الكبيرة".

قلت: "أنا لا يهمني مَنْ يكونون. أي جحيم يعرفونه؟ يستطيعون الكتابة ربها، لكن أي جحيم يعرفونه؟"
سأل هوجن: "أنت لا تعتقد أن جاك في وضع حسن، أليس كذلك؟"

- "لا. إنه منته. كل ما يحتاجه هو أن يختاره كوربيت ليفوز في المباراة وينتهي كل شيء".
يقول هوجن: "حسناً. سيختاره كوربيت".
- "أكيد. سيختاره".

في تلك الليلة، لم ينم جاك أيضاً. كان الصباح التالي آخر يوم قبل الملاكمة. بعد الفطور خرجنا إلى شرفة المدخل ثانية.
قلت: "ما الذي تفكر فيه يا جاك، حين لا تستطيع أن تنام؟"
يقول جاك: "أوه، أقلق. أقلق على أملاك لدي في برونكس، أقلق على أملاك لدي في فلوريدا. أقلق على الأطفال. أقلق على زوجتي. أحياناً أفكر بالملاكمت. أفكر في ذلك الـ كايك رتشي لويس فأحس بالغيظ. لدي بعض السندات وأنا أقلق عليها. أي جحيم لا أفكر فيه؟"

قلت: "حسناً. في ليلة الغد سينتهي كل شيء".
قال جاك: "أكيد. ذلك دائماً يساعد كثيراً، أليس كذلك؟ ذلك يسوي تماماً كل شيء نهائياً. على ما أفترض. أكيد".

كان نكداً طيلة اليوم. لم نقم بأي عمل. تنقل جاك قليلاً في
الأنحاء ليخفف من توتره. لاكم ملاكمة ظلية في الهواء عدة
جولات. حتى أنه لم يبدُ ماهراً وهو يفعل ذلك. ففز على الحبل
مدة قصيرة. لم يعرق.

قال هوجن: "يحسن ألا يفعل شيئاً على الإطلاق". كنا واقفين
نراقبه وهو يقفز على الحبل. "لم يعد يعرق أبداً؟"
- "لأنه لا يستطيع أن يعرق".

- "هل تظن أنه مصاب بالسل؟ لم يواجه صعوبة في زيادة وزنه،
أليس كذلك؟"

- "لا، إنه ليس مصاباً بأي سُل. كل ما هنالك أنه لم يعد لديه
أي شيء داخله".

قال هوجن: "يجب أن يعرق".

تقدم جاك، وهو يقفز على الحبل. كان يثب إلى أعلى وإلى
أسفل أمامنا، إلى الأمام وإلى الخلف، مصالباً ذراعيه مع كل ثالث
قفزة.

قال: "حسناً. ما الذي تتكلمان عنه أيها العقابان؟"

قال هوجن: "لا أظن أنك يجب أن تفعل شيئاً الآن. ستنهك
قواك".

قال جاك وهو يثب بعيداً هابطاً على الأرضية، مفرقاً الحبل
بقوة: "ألن يكون ذلك رهيباً؟"

بعد ظهر ذلك اليوم وصل إلى المزرعة جون كوليتز. كان جاك
في الطابق العلوي في غرفته. وصل بسيارة من البلدة. كان معه
صديقان. توقفت السيارة وخرجوا كلهم.

سألني جون: "أين جاك؟"
 - "فوق في غرفته، مستلقياً".
 - "مستلقياً؟"
 قلتُ: "نعم".
 - "كيف هو؟"
 نظرتُ إلى الشخصَينِ الاثنيَينِ اللذينِ كانا مع جون.
 قال جون: "إنهما من أصدقائه".
 قلتُ: "إنه في حال سيئة جداً".
 - "ما به؟"
 - "إنه لا ينام".
 قال جون: "جحيم. لم يستطيع ذلك الإيرلندي أن ينام أبداً".
 قلتُ: "إنه ليس على ما يرام".
 قال جون: "جحيم. إنه لم يكن على ما يرام أبداً. عمل معي
 عشر سنوات ولم يكن أبداً على ما يرام".
 ضحك الشخصان اللذان كانا معه.
 قال جون: "صافح السيد مورجان والسيد شتاين فِلت. هذا
 هو السيد دويل. إنه يدرب جاك".
 قلتُ: "مسرور للفائكما".
 قال الفتى المدعو مورجان: "لنصعد ونرى الفتى".
 قال شتاين فِلت: "لنلقِ نظرة عليه".
 صعدنا كلنا إلى الطابق العلوي.
 سأل جون: "أين هوجن؟"
 قلتُ: "إنه في الخارج في الحظيرة مع اثنيَينِ من زبائنه".

سأل جون: "عنده كثير من الناس في الخارج هنا الآن؟"
- "اثنان فقط".

قال مورجان: "إنها هادئة تماماً، أليس كذلك؟"
قلت: "نعم. إنها هادئة تماماً".

كنا خارج غرفة جاك. قرع جون الباب. لم يصدر أي جواب.
قلت: "ربما يكون نائماً".

- "لأي جحيم ينام في النهار؟"

أدار جون مقبض الباب ودخلنا كلنا. كان مستلقياً على السرير
ونائماً. كان وجهه إلى أسفل على الوسادة. كانت كلتا ذراعيه حول
الوسادة.

قال جون له: "هاي جاك".

تحرك رأس جاك قليلاً على الوسادة. يقول جون، منحنياً
فوقه: "جاك". غاص جاك متعمقاً قليلاً في الوسادة. لمس جون
كتفه. جلس جاك معتدلاً ونظر إلينا. لم يكن قد حلق ذقنه وكان
يلبس معرقاً قديماً.

يقول جون: "يا للمسيح! لماذا لا تدعني أنام؟"

يقول جون: "لا تغضب. لم أقصد إيقاظك".

يقول جاك: "أوه. لا. طبعاً لا".

قال جون: "أنت تعرف مورجان وشتاين فلت".

يقول جاك: "تسرنى رؤيتكما".

يسأله مورجان: "كيف حالك يا جاك؟"

يقول جاك: "حسن. أي جحيم ستكون حالي؟"

يقول شتاين فلت: "أنت تبدو جيداً".

يقول جاك: "نعم، ألسْتُ كذلك؟" يقول لجون: "قُل. أنتَ مديرِي. تحصل على مبلغ كبير كافٍ تقطعه. بسبب أي جحيم لا تكون هنا حين خرج المراسلون! أنتَ تريد من جيرِي ومني التحدث إليهم؟"

قال جون: "لديّ ليو يلاكم في فيلادلفيا".

يقول جاك: "أي جحيم ذلك بالنسبة إليّ؟ أنتَ مديرِي. أنتَ تحصل على مبلغ كبير كافٍ تقطعه، أليس كذلك؟ أنتَ لا تكسب مالا لي في فيلادلفيا، أليس كذلك؟ بسبب أي جحيم لا تكون هنا حين أحتاج إليك؟"
- "هوجن كان هنا".

يقول جاك: "هوجن، هوجن غيبّي مثلي أنا".

قال شتاين فلت: "كان سولجير بارتليت هنا يعمل معك مدة من الزمن، أليس كذلك؟" ليغير الموضوع.

يقول جاك: "نعم. كان هنا. كان هنا على خير وجه".

قال جون لي: "قُل يا جيرِي. هلاّ ذهبتَ وبحثتَ عن هوجن وأخبرته بأننا نريد أن نراه خلال نصف ساعة؟"
قلتُ: "أكيد".

يقول جاك: "بسبب أي جحيم لا يبقى هنا؟ إبق هنا يا جيرِي".

نظر مورجان وشتاين فلت أحدهما إلى الآخر.

قال جون له: "إهدأ يا جاك".

قلتُ: "يحسن أن أذهب وأبحث عن هوجن".

يقول جاك: "حسناً، إذا أردتَ أن تذهب. لا أحد من هؤلاء

الفتيان سييعدك مع ذلك " .

قلت: " سأذهب لأبحث عن هوجن " .

كان هوجن في فاعة الجمباز في الحظيرة . كان معه اثنان من مرضى مزرعة الصحة بقفازات . لا أحد منهما أراد ضرب الآخر ، خوفاً من أن يرد الآخر فيضربه .

قال هوجن حين رأني أدخل: " ذلك كل شيء . يمكنكما وقف المذبحة . خذا أيها السيدان دوشاً وسيقوم بروس بتدليككما " .

خرجنا من بين الحبال وتقدم هوجن نحوي .

قلت: " أتى جون كولنز مع صديقين له ليرى جاك " .

- " رأيتهم يصلون بالسيارة " .

- " من هما الشخصان اللذان مع جون؟ " .

قال هوجن . " إنهما ما تدعوهما بالفتيان الفطنين . ألا تعرفهما؟ " .

قلت: " لا " .

- " ذلكما هابي شتاين فلت وليو مورجان . لديهما مكتب مراهننة

على الخيل " .

قلت: " ظللتُ بعيداً لوقت طويل " .

قال هوجن: " أكيد . هابي شتاين فلت ذلك داهية كبير " .

قلت: " سمعتُ اسمه " .

قال هوجن: " إنه فتى لطيف جداً . إنها اثنان من الرماة

المهرة " .

قلت: " حسناً . يريدون أن يرونا خلال نصف ساعة " .

- " تعني أنها لا يريدون أن يرونا إلا بعد نصف ساعة؟ " .

- " ذلك هو " .

قال هوجن: "تعال إلى المكتب. إلى الجحيم بتينك الرامين الماهرين".

بعد حوالي ثلاثين دقيقة أو أكثر أرتقينا أنا وهوجن الدرج. طرفنا باب غرفة جاك. كانوا يتحدثون داخل الغرفة. قال أحدهم: "انتظر دقيقة".

قال هوجن: "إلى الجحيم بذلك الكلام. حين تريدون أن تروني فأنا في الأسفل في مكثبي".

سمعنا الباب يفتح. فتحه شتاين فلت.

يقول: "أدخل يا هوجن. سنتناول كلنا شراباً".

يقول هوجن: "حسناً. ذلك شيء".

دخلنا. كان جاك حالساً على السرير. كان جون ومورجان

جالسين على كرسيين. وكان شتاين فلت واقفاً.

قال هوجن: "أنتم مجموعة من فتيان غامضين جداً".

يقول جون: "مرحباً يا داني".

يقول مورجان: "مرحباً يا داني" ويصافحه.

لا يقول جاك شيئاً. يجلس فقط هناك على السرير. إنه ليس مع

الآخرين. كان كله مع نفسه. كان يلبس كتنزة وسروالاً زرقاوين

قديمين ويتتعل حذاء ملاكمة. كان بحاجة إلى حلاقة ذقنه. كان

شتاين فلت ومورجان متأنقين. كان جون متأنقاً تماماً أيضاً. جلس

جاك هناك وهو يبدو إيرلندياً وخشناً.

أخرج شتاين فلت قنينة وأحضر هوجن كؤوساً وتناول الكل

شراباً. شربت أنا وجاك كأساً واحدة وتابع البقية وشرب كل

واحد منهم كأسين أو ثلاثاً.

قال هوجن: "يحسن أن توفر بعضه لعودتك".
قال مورجان: "لا تقلق. لدينا الكثير".
لم يشرب جاك شيئاً منذ الكأس الأولى. كان يقف وينظر إليهم. كان مورجان يجلس على السرير حيث جلس جاك.
قال جون: "إشرب يا جاك" وناوله الكأس والقئينة.
قال جاك: "لا. لم أحبّ قط الذهاب إلى هذه السهرات على الموتى".

ضحكوا كلهم. لم يضحك جاك.
كانوا كلهم في حال جيدة حين غادروا. وقف جاك في شرفة المدخل حين ركبوا السيارة. لوّحوا بأيديهم له.
قال جاك: "إلى اللقاء".

تناولنا العشاء. لم يقل جاك شيئاً أثناء الوجبة سوى: "هلاً أعطيتني هذا؟" أو "هلاً أعطيتني ذلك؟" تناول مريضاً مزرعة الصحة العشاء معنا على نفس الطاولة. كانا شخصين لطيفين جداً. بعد أن أكملنا الأكل خرجنا إلى شرفة المدخل. حلّ الظلام مبكراً.
سأل جاك: "تحب أن تتمشي يا جيرى".
قلت: "أكيد".

ارتدينا معطفينا وانطلقنا خارجين. كان طريقاً هادئاً بعيداً عن الطريق الرئيسي ثم مشينا على الطريق الرئيسي حوالي ميل ونصف. ظلّت السيارات تمر بنا فكنا ننسحب إلى جانب الطريق حتى تمر. لم يقل جاك شيئاً. بعد أن خطونا إلى داخل الشجيرات لنسمح لسيارة كبيرة بالمرور قال جاك: "إلى الجحيم بهذا المشي. لنرجع إلى مزرعة هوجن".

سرنا في طريق جانبيّ يجري من على التل وعبر الحقول عائداً إلى
مزرعة هوجن. أمكننا أن نرى أنوار المنزل في الأعلى على التل.
درنا حتى وصلنا إلى مقدمة المنزل وهناك كان هوجن يقف في فتحة
الباب.

سأل هوجن: "مشيتما مشواراً جيداً؟"
قال جاك: "أوه، حسن. إسمع يا هوجن. هل لديك أي
شراب؟"

يقول هوجن: "أكيد. ما الفكرة؟"
يقول جاك: "أرسله إلى الأعلى إلى الغرفة. سأنام الليلة."
يقول هوجن: "أنت الطيب."
يقول جاك: "إصعد إلى الغرفة يا جيرى."
في الطابق العلوي، جلس جاك على السرير ورأسه بين يديه.
يقول جاك: "أليست هذه حياة؟"
أحضر هوجن ربعة ليكير وكأسين.
- "تريد بعض جعة زنجبيل؟"
- "ما الذي تظن أنني أنوي فعله، أن أصاب بالغثيان؟"
قال هوجن: "سألتك فقط."
قال جاك: "تشرّب؟"
قال هوجن: "لا، شكراً". خرج.
- "ماذا عنه يا جيرى؟"
قلت: "سأشرب كأساً واحدة معك."
صبّ جاك كأسين من الشراب. قال: "الآن. أريد تناوله ببطء
وببساطة".

قلت: "ضع قليلاً من الماء فيه".
قال جاك: "نعم. أعتقد بأن هذا أفضل".
شربنا كأسين دون أن نقول شيئاً. بدأ جاك يصب لي كأساً
أخرى.

قلت: "لا، ذلك كل ما أريده".
قال جاك: "حسناً". صبّ لنفسه جرعة كبيرة أخرى ووضع
فيها ماء. بدأ ينتشي قليلاً.
قال: "كانوا ثلثة لطيفة: أولئك الذين حضروا بعد ظهر اليوم.
لم تتح لهما أية فرصة، ذلكما الشخصان".
ثم بعد فترة قصيرة، يقول: "حسناً، إنها جيدان. أي جحيم
هي الفائدة من انتهاز فرص؟"

قال: "ألا تريد كأساً أخرى يا جيرى. هيا شاركني".
قلت: "لا أحتاج إليه يا جاك. أحس أنني في حال حسنة".
قال جاك: "خذ كأساً أخرى فقط".
كان الشراب يخفف عنه.
قلتُ: "حسناً".

صبّ جاك كأساً لي وجرعة كبيرة أخرى له.
قال: "أنتَ تعرف، أنا أحب الشراب كثيراً. لولا أنني الأكم
لشربتُ الكثير".

قلت: "أكيد".
قال: "أنتَ تعرف، خسرتُ الكثير، من الملائمة".
- "جمعتُ الكثير من المال".
- "أكيد، ذلك ما أنا وراءه. أنتَ تعرف أنني أفتقد الكثير يا

جيري .

- "ماذا تعني؟"

يقول: "حسناً، مثل ما يتعلق بزواجتي . وبعدي عن البيت كثيراً . لا يقدم لبناتي أي شيء جيد . بعض فتيان المجتمع أولئك يقولون لمن: 'من هو أبوكن؟' . 'أبي جاك برينان' . ذلك لا يقدم إليهن أي شيء جيد" .

قلت: "جحيم . كل ما يشكّل فرقا هو إذا كنّ يملكن خيرة" .

يقول جاك: "حسناً . لدي الخميرة لأجلهن تماماً" .

صبّ كأساً أخرى . كانت القنينة على وشك أن تفرغ .

قلت: "صبّ بعض الماء فيها" . صبّ جاك بعض الماء فيها .

يقول: "أنت تعرف، ليس لديك أدنى فكرة عن مدى ما أفتقد

زوجتي" .

- "أكيد" .

- "ليست لديك أدنى فكرة . لا يمكن أن تكون لديك فكرة عما

تكونه هذه الحال" .

- "لابد أن من الأفضل أن تكون في الريف من أن تكون في

المدينة" .

قال جاك: "معني الآن، لا يشكل أي فرق أين أكون . لا يمكن

أن تكون لديك فكرة كيف هي الحياة" .

- "إشرب كأساً أخرى" .

- "هل سكرت؟ هل أتكلم كلاماً سخيفاً؟"

- "أنت تتقدم على خير وجه" .

- "لا يمكن أن تكون لديك فكرة عن كيف هي الحال . ليس

من أحد يمكن أن تكون لديه فكرة عن هذه الحال " .
قلت: " ما عدا الزوجة " .
قال جاك: " إنها تعرف . هي تعرف تماماً . هي تعرف . أنت
متأكد من أنها تعرف؟ "
قلت: " ضع بعض الماء في تلك الكأس " .
يقول جاك: " جيري . لا يمكن أن تكون لديك فكرة عن كيف
ستصبح هذه الحال " .
كان في حال جيدة وسكراناً . كان ينظر إليّ بثبات . كانت عيناه
ثابتتين جداً .
قلت: " ستنام على خير وجه " .
يقول جاك: " إسمع يا جيري . تريد أن تكسب بعض المال؟
راهن ببعض المال على ولكوت " .
- " نعم؟ "
- " إسمع يا جيري " . وضع جاك الكأس . " أنا لستُ سكراناً
الآن، تر؟ أنت تعرف كم راهنتُ عليه؟ خمسون قطعة من فئة
الألف " .
- " ذلك مبلغ كبير " .
يقول جاك: " خمسون قطعة من فئة الألف . على أساس اثنين إلى
واحد . سأحصل على خمسة وعشرين ألف دولار . راهن ببعض
المال عليه يا جيري " .
قلت: " يبدو هذا معقولاً " .
يقول جاك: " كيف يمكنني أن أهزمه؟ إنها ليست خدعة . كيف
يمكنني أن أهزمه؟ لماذا لا أكسب مالاً من الرهان عليه؟ "

قلت: "ضع بعض الماء في تلك".
يقول جاك: "سأنتهي بعد هذه الملائمة. لقد انتهيتُ منها. لا بد
أن تلحق بي هزيمة. لماذا لا أكسب من هذا؟"
- "أكيد".

يقول جاك: "لم أُنم منذ أسبوع. طوال الليل أستلقي مستيقظاً
وأفلق نفسي حتى النهاية. أنا لا أستطيع أن أنام يا جيرى. ليست
لديك فكرة عما تكون عليه الحال حين لا تستطيع أن تنام".
- "أكيد".

- "لا أستطيع أن أنام. ذلك كل شيء. أنا لا أستطيع أن أنام.
ما فائدة العناية بنفسك طيلة هذه السنين حين لا تستطيع أن تنام؟"
- "إن هذا سيء".

- "ليست لديك فكرة عما تكون الحال يا جيرى حين لا تستطيع
أن تنام".

- "ضع بعض الماء في تلك الكأس".
حسناً، في حوالي الساعة الحادية عشرة تعتج السكرُ جاك
فمددته على السرير. أخيراً أصبح على حال لا يمكنه فيها أن يمتنع
عن النوم. ساعدته على خلع ملابسه ومددته على السرير.

قلت: "ستنام جيداً يا جاك".

يقول جاك: "أكيد. سأنام الآن".

قلت: "تصبح على خير يا جاك".

يقول جاك: "تصبح على خير يا جيرى. أنتَ الصديق الوحيد
لدي".

قلت: "أوه، جحيم".

يقول جاك: "أنتَ الصديق الوحيد لديّ. الصديق الوحيد لديّ".

قلت: "نم".

يقول جاك: "سأنام".

في الطابق السفلي، كان هوجن يجلس إلى طاولة المكتب في مكتبه ويقرأ الجرائد. رفع نظره إليّ. يسألني: "حسناً، أمنتَ صديقك؟"

- "غرق في النوم".

- "أكيد".

قال هوجن: "سنحتاج إلى جحيم وقت لتوضيح ذلك لكتاب الرياضة أولئك".

قلت: "حسناً، سأوي إلى السرير أنا نفسي".

قال هوجن: "تصبح على خير".

في الصباح، نزلت إلى الطابق الأرضي في حوالي الساعة الثامنة وتناولتُ بعض طعام الفطور. كان هوجن قد أخرج زبونه إلى الحظيرة للقيام بتمرينات رياضية. خرجتُ وراقبتها.

كان هوجن يعدّ لهما. "واحد! اثنان! ثلاثة! أربعة!" قال: "هلو جيرري. ألم يستيقظ جاك بعد؟"

- "لا. إنه لا يزال نائماً".

عدتُ إلى غرفتي وحزمتُ أمتعتي للتوجه إلى البلدة. في حوالي الساعة التاسعة والنصف سمعتُ جاك ينهض في الغرفة المجاورة. حين سمعته ينزل إلى الطابق السفلي لحقتُ به. كان جاك يجلس إلى طاولة الإفطار. كان هوجن قد دخل ووقف إلى جانب الطاولة.

سألتُه: "كيف حالك الآن يا جاك؟"
 - "ليس سيئاً جداً".
 سأل هوجن: "نمتَ جيداً؟"
 قال جاك: "نمتُ تماماً. ثقل لساني لكن ليس لديّ صداع".
 قال هوجن: "حسناً. كان ذلك الشراب جيداً".
 يقول جاك: "سجّلُه في فاتورة الحساب".
 سأل هوجن: "في أي وقت تريد أن تذهب إلى البلدة؟"
 قال جاك: "قبل الغداء. قطار الساعة الحادية عشرة".
 قال جاك: "إجلس يا جيرى". خرج هوجن.
 جلستُ إلى الطاولة. كان جاك يأكل ليمونة هندية/جريب
 فروت. حين كان يجد بذرة كان يبصقها في الملعقة ويرميها في
 الطبق.
 بدأ: "أظن أنني كنت سكراناً جداً ليلة أمس".
 - "شربتَ بعض الشراب".
 - "أظن أنني قلتُ كثيراً من الأشياء الحمقاء".
 - "لم تكن سيئاً".
 سأل: "أين هوجن؟"
 انتهى من الليمونة الهندية.
 - "هناك في المقدمة في المكتب".
 سأل جاك: "ماذا قلتُ عن المراهنة على الملاكمة". كان يمسك
 بالملعقة ويحركها كأنه يطعن الليمونة الهندية بها.
 دخلت الفتاة ببعض لحم فخذ خنزير وبيض ثم أخرجتُ معها
 الليمون الهندي.

قال جاك لها: "أحضري لي كأس حليب أخرى". خرجت.
قلت: "قلت إنك راهنت بخمسين ألف دولار على وُلْكوت".
قال جاك: "ذلك صحيح".
- "ذلك مبلغ كبير".
قال جاك: "لست مرتاحاً كثيراً لهذا".
- "قد يحدث شيء".
قال جاك: "لا. إنه يريد اللقب بأشد رغبة لديه. سيرفع هذا
من قيمة الرهان عليه حقاً".
- "لا يمكن أن تعرف".
- "لا. إنه يريد اللقب. إنه يساوي مالاً كثيراً بالنسبة إليه".
قلت: "إن خمسين ألف دولار مبلغ كبير من المال".
قال جاك: "إنه عمل تجاري. لن أستطيع أن أفوز. أنت تعرف
أنني لن أفوز بأي حال من الأحوال".
- "طالما أنت داخل الخلبة هناك، لديك فرصة".
يقول جاك: "لا. لقد انتهيت تماماً. إنه بمجرد عمل تجاري".
- "كيف حالك؟"
قال جاك: "حسن جداً. كان النوم هو ما كنت أحتاج إليه".
- "قد تلاكم على نحو جيد".
قال جاك: "سأقدم لهم عرضاً جيداً".
بعد الإفطار اتصل جاك بزوجته عن طريق خط الاتصالات
البعيد. كان داخل الكشك يهاتف.
قال هوجن: "تلك أول مرة يتصل بها منذ أن وصل إلى هنا".
- "إنه يكتب إليها كل يوم".

- "أكيد. الرسالة تكلف ستين فقط".
ودعنا هوجن، ونقلنا برُوس، المدلّك الزنجي، إلى القطار
بالعربة.
قال برُوس عند القطار: "مع السلامة يا سيد برينان. أمل أن
تجدل كيانه".
قال جاك: "إلى اللقاء".
أعطى برُوس دولارين. كان برُوس قد خدمه كثيراً. بدا خائب
الأمل إلى حد ما. رأى جاك أنظر إلى برُوس وهو يمسك
بالدولارين.
قال: "كلها في الفاتورة. لقد تقاضى هوجن مني أجره
التدليك".
في القطار، متجهين إلى البلدة، لم يتكلم جاك. جلس في ركن
المقعد وتذكرته في شريط قبعته ونظر من النافذة. التفت مرة وتكلم
إلي.
قال: "أخبرتُ زوجتي بأنني سأستأجر غرفة في فندق شيلبي
الليلة. إنه حول الركن تماماً من الحديقة. سأتمكن من الذهاب إلى
المنزل غداً صباحاً".
قلت: "تلك فكرة جيدة. رأيتك زوجتك تلاكم يا جاك؟"
يقول جاك: "لا. لم ترني أبداً ألكم".
فكرتُ أنه لا بد أنه يتصور بأنه سيتلقى ضرباً شنيعاً إذا كان هو
لا يريد الرجوع إلى البيت بعد ذلك. في البلدة أخذنا سيارة أجره
حتى شيلبي. خرج صبيّ وأخذ حقائبنا واتجهنا إلى المكتب.
سأل جاك: "كم أجره الغرفة؟"

قال الكاتب: "لدينا غرف مزدوجة فقط . يمكنني تقديم غرفة مزدوجة جيدة بعشرة دولارات فقط " .
- "تلك غالية جداً" .

- "يمكنني تقديم غرفة مزدوجة لكما بسبعة دولارات " .
- "مع حمام؟"
- "أكيد " .

يقول جاك: "يمكنك أيضاً أن تنام معي يا جيري " .
قلت: "أوه، سأنام في المدينة عند صهري " .
يقول جاك: "لم أقصد أن تدفع أنت . أردتُ فقط الحصول على ما يعادل نقودي " .

يقول الكاتب: "أسمحا بتسجيل اسميكما؟" نظر إلى الاسمين .
"رقم ٢٣٨ يا سيد برينان " .
صعدنا بالمصعد . كانت غرفة جيدة كبيرة بسريرين وباب يفتح على حمام .

يقول جاك: "هذه جيدة جداً" .
رفع الصبي الذي قادنا إلى الغرفة الستائر وأدخل حقائبنا . لم يحرك جاك ساكناً، فأعطيتُ الصبي رُبع دولار مني . غسلنا أيدينا وقال جاك بأنه يحسن بنا أن نخرج ونأكل شيئاً .
تناولنا الغداء في محل هاندي . عدد كبير من الفتيان كانوا هناك . حين كنا في منتصف أكلنا، دخل جون وجلس معنا . لم يتكلم جاك كثيراً .

سأله جون : "كيف حال وزنك؟" كان جاك يلتهم غداء جيداً جداً .

قال جاك: "يمكنني أن أفعل هذا وملابسي علي". لم يكن قلقاً
حيال أخذ وزنه. كان ملاكاً عادياً من الذين يتراوح وزنهم بين
١٣٥ - ١٤٧ رطلاً ولم يسمن أبداً. لقد فقد من وزنه في مزرعة
هوجن.

قال جو: "حسناً، ذلك أمر واحد لا يثير قلقك أبداً".

يقول جاك: "ذلك أمر واحد".

ذهبنا إلى الحديقة ليزن نفسه بعد الغذاء. كان قد تقرر أن تجري
الملاكمة بوزن ١٤٧ رطلاً في الساعة الثالثة. خطا جاك على القبان
وفوطته حوله، لم يتحرك القضيب. كان وُلُكوت قد وزن قبل
لحظات فوقف وكثير من الناس يحيطون به.

قال فريدمان مدير وُلُكوت: "لنر كم تزن يا جاك".

هز جاك رأسه في اتجاه وُلُكوت: "حسناً. زنه هو".

قال فريدمان: "أسقط المنشقة".

سأل جاك الأشخاص الذين قاموا بالوزن: "كم حسبتموه؟"

قال الرجل السمين الذي كان يزن: "مائة وثلاثة وأربعون

رطلاً".

يقول فريدمان: "نقصت جيداً".

يقول جاك: "زنه هو".

تقدم وُلُكوت. كان أشقر بكتفين عريضين وذراعين كذارعي
ملاك من الوزن الثقيل. ليس لديه ساقان كبيرتان. وقف جاك
أطول منه بحوالي نصف رأس.

قال وُلُكوت: "مرحباً يا جاك". كان وجهه كثير العلامات.

قال جاك: "مرحباً. كيف حالك؟"

يقول ولُكوت: "حسن". أسقط المنشقة من حول خصره
ووقف على القبان. كان له أعرض كتفين وظهر رأيته في حياتك.
- "مائة وستة وأربعون رطلاً واثنى عشرة أونسة".
خطا ولُكوت نازلاً عن القبان وكشّر لجاك.
يقول جون: "حسناً، ينقص وزن جاك عنك بحوالي أربعة
أرطال".

يقول ولُكوت: "أكثر من ذلك حين أدخل الحلبة يا فتى.
سأذهب لأكل الآن".
عُذنا، ولبس جاك. يقول جاك لي: "يبدو ولدأ خشناً تماماً".
- "يبدو كأنه ضُرب مرات عديدة".
يقول جاك: "أوه. نعم ليس من الصعب أن يُضرب".
سأل جون بعد أن لبس جاك: "أين ستذهب؟"
يقول جاك: "أرجع إلى الفندق. رتبت كل شيء؟"
يقول جون: "نعم. رُتب كل شيء".
يقول جاك: "سأستلقي لوهلة".
- "سآتي إليك في حوالي السابعة إلا ربعاً وسنذهب لنأكل".
- "حسناً".

في الفندق خلع جاك حذاءه ومعطفه واستلقى لوهلة. كتبتُ
رسالة. نظرتُ إليه بضع مرات، ولم يكن جاك نائماً. كان مستلقياً
ساكناً تماماً، لكن بين الحين والحين كانت عيناه تفتحان. أخيراً،
جلس معتدلاً.

يقول: "أتلعب كريبيج cribbage يا جيرى؟"
قلتُ: "أكيد".

ذهب إلى حقيبته وأخرج الورق منها ولوحة الكريبيج . لعبنا كريبيج وكسب ثلاثة دولارات مني . طرقت جون الباب ودخل .
سأله جاك : " تريد أن تلعب كريبيج يا جون؟ "
وضع جون قبعته على الطاولة . كانت كلها مبتلة . كان معطفه مبتلاً أيضاً .

يسأل جاك : " هل تمطر؟ "
يقول جون : " إنها تصب . سيارة الأجرة التي استقلتُها أوقفتُ من زحمة المرور فتزلت منها ومشيت " .
يقول جاك : " هيا ، إلب كريبيج " .
- " يجب أن تذهب وتأكّل " .
يقول جاك : " لا . لا أريد أن آكل بعد " .
هكذا لعبا كريبيج لمدة حوالي نصف ساعة وربح جاك دولاراً ونصفاً منه .

يقول جاك : " حسناً . أظن أنه يجب أن نذهب لنأكل " . ذهب إلى النافذة ونظر إلى الخارج .
- " أما زالت تمطر؟ "
- " نعم " .

يقول جون : " لنأكل في الفندق " .
يقول جاك : " حسناً . سألعب معك مرة أخرى لنرَ مَنْ سيدفع للوجبة " .

بعد وهلة قصيرة ينهض جاك ويقول : " أنت تشتري الوجبة يا جون " ، ونزلنا إلى الطابق السفلي وأكلنا في قاعة الطعام الكبيرة .
بعد أن أكلنا صعدنا إلى الطابق العلوي ، لعب جاك كريبيج مع

جون مرة أخرى وكسب دولارين ونصفاً منه . كان جاك في حال جيدة تماماً . كانت مع جون حقيبة وكل متاعه فيها . خلع جاك قميصه وياقته ولبس كتنزة ومعرق حتى لا يصاب بالبرد حين يخرج ، ووضع ملابس الحلبة وبرنس الحمام في حقيبة . يسأله جون : " أنت مستعد تماماً؟ سأتصل ليحضروا سيارة أجرة " .

بعد فترة وجيزة رنّ جرس الهاتف وقالوا بأن سيارة الأجرة تنتظر .

هبطنا بالمصعد وخرجنا عبر الردهة ، واستقللنا سيارة أجرة ودرنا إلى الحديقة . كانت تمطر بغزارة لكن كان يوجد كثير من الناس في الخارج في الشوارع . بيعت الحديقة كلها . حالما دخلنا ونحن في طريقنا إلى غرفة تغيير الملابس رأيت مدى امتلاء الحديقة . بدت كأنها على بُعد نصف ميل من الحلبة . كان الظلام تاماً . الأنوار فقط كانت فوق الحلبة .

يقول جون : " إنه لأمر جيد ، وهذا المطر يهطل ، أنهم لم يحاولوا إجراء الملاكمة في منتزه الرقص " .

يقول جاك : " لديهم جمهور جيد " .

- " هذه ملاكمة ستجذب أكثر بكثير مما يمكن أن تستوعبه الحديقة " .

يقول جاك : " لا يمكنك التنبؤ بالطقس " .

تقدم جون من باب غرفة تغيير الملابس ودسّ رأسه . كان جاك جالساً هناك وعليه برنس الحمام ، كانت ذراعاه مطويتين وكان ينظر إلى الأرض . كان مع جون بضعة عمال خدمة الحلبة . نظروا من

فوق كتفه . رفع جاك نظره .

سأل : " هل هو في الحلبة؟ "

قال جون : " ذهب قبل لحظة " .

ذهبنا . كان وُلُكوت يدخل الحلبة للتو . صفق الجمهور تصفيقاً عاصفاً . صعد داخلا من بين الحبال وشبك كلتا قبضتيه معاً وابتسم ، وهزهما للجمهور ، أولاً عند أحد جوانب الحلبة ، ثم عند الجانب الآخر ، ثم جلس . تلقى جاك تصفيقاً جيداً وهو يسير بين الجمهور . جاك إيرلندي والإيرلنديون دائماً يتلقون تصفيقاً جيداً إلى حد ما . الأيرلندي لا يجتذب المشاهدين في نيويورك كما يجتذبهم يهودي أو إيطالي ، لكنهم يتلقون دائماً تصفيقاً جيداً . صعد جاك وانحنى ليدخل بين الحبال فتقدم وُلُكوت من ركنه ودفع الحبل إلى أسفل ليسمح لحاك بالدخول من خلاله . رأى الجمهور أن ذلك مدهش . وضع وُلُكوت يده على كتف جاك ووقفها هناك لثانية فقط .

يقول جاك له : " هكذا ستصبح واحداً من هؤلاء الأبطال الشعبيين . أبعد يدك اللعينة عن كتفي " .
يقول وُلُكوت : " تماسك " .

كل هذا شيء عظيم للجمهور . يا لمدى لطف الفتيان قبل الملاكمة ! يا لطريقة تمني كل واحد للآخر حسنَ الحظ !
تقدم سولي فريدمان إلى ركننا بينما جاك يضمّ يديه وجون في ركن وُلُكوت . دس جاك إبهامه خلال الشق في الضمادة ثم لفّ يده جيداً وبسلاسة . لففتها حول الرسغ مرة ثم مرتين حول عقل أصابعه .

يقول فريدمان: "هيه. من أين حصلت على كل ذلك الشريط؟"

يقول جاك: "تحسسه. إنه طرّي، أليس كذلك؟ لا تكن ريفياً أخرق".

ظلّ فريدمان واقفاً هناك طيلة الوقت بينما جاك يضمّد يده الأخرى، وأحد الصبية الذين يخدمونه يحضر القفاز فأشده أنا على يديه وأربطه.

يسأل جاك: "قل يا فريدمان، ما هي جنسية ولكوت هذا؟"

يقول سولي: "لا أعرف. إنه نوع من الدنماركيين".

قال الصبيّ الذي أحضر القفاز: "إنه من بوهيميا".

دعاهما الحكم إلى وسط الحلبة وذهب جاك. تقدم ولكوت مبتسماً. التقيا ووضع الحكم ذراعيه على كتف واحد من كتفي كلٍ منهما.

يقول جاك لولكوت: "مرحباً، يا شعبية".

- "تماسك".

يقول جاك: "لماذا تدعو نفسك ولكوت؟ ألا تعرف أنه كان زنجياً؟"

يقول الحكم: "إسمعا" - ويعرض عليهما نفس خط قواعد اللعبة القديم. ذات مرة قاطعة ولكوت. أمسك بذراع جاك ويقول: "هل أستطيع ضربه حين يمسك بي هكذا؟"

يقول جاك: "أبعد يديك عني. لا يوجد تصوير سينمائي لهذا". رجعا إلى ركنيهما. رفعت برنس الحمام عن جاك ومال على الحبال وثنى ركبتيه بضع مرات وذلك حذائية بالراتينج. دق

الجرس القرصي والتفت جاك بسرعة وتقدم. اتجه ولكوت نحوه وتلامس قفازاهما وحالما أسقط ولكوت يديه انقضت يسرى جاك إلى وجهه مرتين. لم يوجد أي شخص يلاكم في أي وقت أفضل من جاك. تابعه ولكوت، متقدماً إلى الأمام طيلة الوقت وذقنه على صدره. إنه خطافي ويبقي يديه واطنتين تماماً. كل ما عرفه هو التقدم والضرب بعنف. لكن في كل مرة تقدم ولكوت لصق جاك، تحط يسرى جاك على وجهه. كأنها ذاتية الحركة تماماً. يرفع جاك يسراه للتوقف على وجهه ولكوت. ثلاث أو أربع مرات انقض جاك بيميناه على ولكوت لكن ولكوت تلقاها على كتفيه أو عالياً على رأسه؟ إنه تماماً ككل هؤلاء الخطافين. الشيء الوحيد الذي يخافه هو ملاكم من نفس نوعه. إنه مغطى في كل مكان يمكنك أن تؤذيه فيه. إنه لا يبالي بقبضة يسرى تحط على وجهه.

بعد حوالي أربع جولات جعله جاك ينزف نزيفاً سيئاً وجرح وجهه كله، لكن في كل مرة اقترب ولكوت كان يضرب جاك بعنف إلى حد أنه طبع بقعتين حمراوين كبيرتين على كلا جنبه تحت الأضلع تماماً. في كل مرة اقترب فيها، قيده جاك، ثم حرر إحدى يديه ولكمه لكلمات علوية، لكن حين تتحرر يدي ولكوت كان يضرب جسم جاك إلى درجة أنهم سمعوا اللكمات خارج الحديقة في الشارع. إنه ملاكم عنيف اللكمات.

تستمر الملاكمة بهذه الطريقة ثلاث جولات أخرى. لم يتكلما. ظلا يتلاكمان طيلة الوقت. عملنا الكثير لجاك أيضاً، بين الجولات. لم يبد في حال جيدة إطلاقاً لكنه لم يلاكم أبداً في الحلبة هكذا. لم يتنقل كثيراً في الحلبة لكن قبضته اليسرى كانت مجرد آلة

متحركة. كأنها كانت مربوطة بوجه وُلكوت وجاك يطلب منها فقط أن تعمل في كل مرة. جاك هادىء دائماً حين يقترب من خصمة ولم يضيع أي عصير. إنه يعرف كل ما يعمل عن قرب أيضاً ويبتعد مع كثير من الضرب. فيما كانا في ركننا شاهدته يقيد وُلكوت، يحرر يمينه، يديرها ويرتفع بها بقطع علوي أصاب أنفه وُلكوت بطرف القفاز، بدأ وُلكوت ينزف نزيفاً شديداً فوضع أنفه على كتف جاك ليقدم إليه بعضاً منه أيضاً، فرفع جاك كتفه بحدة وصدم أنفه، ثم أنزل يمينه عليه وعمل نفس الشيء ثانية.

اهتاج وُلكوت كجحيم. بعد أن أنهيا خمس جولات، كره وُلكوت شجاعة جاك. لم يكن جاك مهتاجاً؛ أي أنه لم يكن أكثر احتياجاً مما هو عادة. من المؤكد أنه اعتاد على أن يجعل الذين يلاكمهم يكرهون الملاكمة. لذلك السبب كره الفتى لويس إلى ذلك الحد. لم يصل أبداً إلى ما عز كيد. كان لدى كيد لويس حوالي ثلاث حركات قذرة جديدة لم يستطع جاك استخدامها. كان جاك دائماً آمناً تماماً ككنيسة طيلة الوقت الذي يمضيه داخل الحلبة طالما بقي محتفظاً بقوته. من المؤكد أنه يعامل وُلكوت معاملة خشنة. المضحك في الأمر أنه بدا كأن جاك ملاكم كلاسيكي مكشوف. كان ذلك لأنه يتمتع بكل تلك المهارة أيضاً.

بعد الجولة السابعة يقول جاك: "بدأت يسراي تثقل".

منذئذ بدأ يتلقى الضرب. لم يظهر عليه في البداية. لكن بدلاً من أن يدير هو دفة القتال بدأ وُلكوت يديره، بدلاً من أن يكون آمناً طيلة الوقت أصبح الآن معرضاً للمتاعب. لم يعد يستطيع صدّه بيسراه الآن. بدا كأن القتال ظل كما كان عليه في السابق،

الآن فقط بدلاً من أن تخطئه لكلمات وُلُكوت فقط راحت تصيبه .
تلقى ضرباً عنيفاً على جسمه .
سأل جاك: " ما هي الجولة؟ "
- "الحادية عشرة" .

يقول جاك: " لن أستمِر . رجلاي تسوءان " .
ظَلَّ وُلُكوت يضربه لمدة طويلة . كان كحارس في كرة بيسبول
يتلقى الكرة فتصدمه ويرتد إلى الخلف . من الآن فصاعداً بدأ
وُلُكوت يقف على أرض صلبة . من المؤكد أنه كان آلة ضاربة .
كان جاك يحاول فقط أن يصدّ كل الضربات الآن . لم تظهر قوة
الضربات الرهيبة التي كان يتلقاها . بين الجولات عاجتُ رجليه .
كانت عضلات رجليه ترتعش تحت يديّ طيلة الوقت الذي كنتُ
أدلكها فيه . كان مريضاً كجحيم .

سأل جون، ملتفتاً، وكل وجهه متورم: " كيف تسير الأمور ؟ "
- "إنها معركة" .

يقول جاك: " أعتقد أنني أستطيع الصمود، لا أقبل أن يوقفني
هذا البوهيمي " .

سارت الأمور تماماً كما فكر بأنها ستسير . عرف أنه لن يستطيع
أن يهزم وُلُكوت . لم يعد قوياً . كان في حال حسنة مع ذلك . كان
ماله مضموناً والآن أراد أن ينهي القتال على نحو صحيح ليرضي
نفسه . لم يرد أن يُطرح أرضاً .

قرع الجرس القرصي ودفعناه إلى الحلبة . تقدم ببطء . دخل
وُلُكوت وراءه . حطّ جاك بيسراه على وجهه فتلقاها وُلُكوت، ثم
تقدم منه وانهاه بضرباته على جسم جاك . حاول جاك تقيده فكان

هذا تماماً كمحاولة الإمساك بمتشار أزاز. أفلت جاك منه وأخطأ الهدف يميناه. ضربة ولكوت يسرى خطافيه فسقط جاك. سقط على يديه وركبتيه ونظر إلينا. بدأ الحكم العدّ. كان جاك يراقبنا ويهزّ رأسه. عند الثامنة تحرك جون نحوه. لم نسمع الكلام بسبب الجمهور. نهض جاك. كان الحكم يمسك ولكوت من إحدى ذراعيه ليوقفه فيها هو يعد.

حين وقف جاك على قدميه انطلق ولكوت نحوه.

سمعتُ سولي فريدمان يصرخ به: "انتبه يا جيمي".

تقدم ولكوت من جاك ناظراً إليه. أطلق جاك يسراه إليه. هزّ ولكوت رأسه فقط. دفع جاك إلى الخلف على الحبال، قاسه ثم ضربة خطافية خفيفة جداً يسراه على جانب رأس جاك وضرب يميناه ضربة عنيفة في جسمه بأقصى قوة لديه، على أوطأ جزء يصل إليه من جسمه. لا بد أنه ضرب تحت الحزام بخمس بوصات. رأيتُ أن عينيّ جاك ستخرجان من رأسه. جحظنا إلى الخارج. انفتح فمه.

أمسك الحكم بولكوت. خطا جاك إلى الأمام. لو سقط ضاعت الخمسين ألف دولار. مشى كأن كل أحشائه كانت ستخرج ساقطة من جسمه.

قال: "لم تكن واطئة. كان حادثاً".

كان الجمهور يصرخ فلم نستطع أن نسمع منه أي شيء.

يقول جاك: "أنا بخير". كانا أمامنا تماماً. ينظر الحكم إلى جون ثم يهزّ رأسه.

يقول جاك لولكوت: "تقدّم، أنت يا بولنديّ ابن قحبة".

كان جون يتعلق بالحبال. حمل المنشفة استعداداً للتجفيف. كان جاك يقف على مسافة قصيرة من الحبال. خطا خطوة إلى الأمام. رأيتُ العرق يسيل على وجهه كأن شخصاً عصره وسقطت قطرة كبيرة أسفل أنفه.

يقول جاك لوكوت: "تقدم وقاتل".

نظر الحكم إلى جون ودفع لوكوت إلى الأمام.

يقول جاك: "تقدم، أنت يا قدر".

تقدم لوكوت. لم يعرف ما يفعله أيضاً. لم يكن يظن أبداً أن جاك يمكنه أن يمتثل هذا. حطَّ جاك بيسراه على وجهه. انطلق جحيم من صراخ يتعالى. كانا أمامنا تماماً. ضربه لوكوت مرتين. كان وجه جاك أسوأ ما رأيته في حياتي، - النظرة المرتسمة عليه! كان يتماسك بنفسه وبجسمه كله وظهر كل هذا على وجهه. طوال الوقت ظلَّ يفكر ويتماسك بجسمه حيث ضرب.

ثم أخذ يضرب ضرباً عنيفاً. بدا وجهه رهيباً طيلة الوقت. بدأ يضرب بيديه بعنف وهما واطئتان على جنبيه، مصوباً على لوكوت. غطى لوكوت نفسه وجاك يصوب بعنف على رأس لوكوت. ثم سدَّ يسراه وضرب لوكوت في أربيته وضربت يميناه ولوكوت تماماً حيث كان لوكوت قد ضرب جاك. منخفضة إلى أسفل تحت الحزام. سقط لوكوت وأمسك بنفسه هناك وتدحرج وتلوى حول نفسه.

أمسك الحكم بجاك ودفع به نحو ركنه. قفز جون إلى الحلبة. انطلق كل الصراخ متعالياً. كان الحكم يتحدث إلى القضاة ثم دخل المذيعُ الحلبة ومعه مكبر الصوت ويقول: "تعرض لوكوت

إلى مخالفة .

تحدّث الحكم إلى جون ويقول: "ماذا أفعل؟ لم يقبل جاك أن تُحسب له المخالفة. ثم حين تُنهك قواه يرتكب نفس المخالفة". يقول جون: "خسرنا على أي حال".

جاك جالس على الكرسي. نزع قفازه فأمسك بأسفل جسمه بكلتا يديه. حين يُسند جسمه بشيء لا يبدو وجهه سيئاً جداً. يقول جون في أذنه: "إذهب إليه وقُل إنك آسف. سيبدو هذا جيداً".

نهض جاك واقفاً والعرق يتصبب على كل وجهه. أحطته برنس الحمام فتماسك وإحدى يديه تحت برنس الحمام وعبر الحلبة. كانوا قد رفعوا وُلُكوت عن الأرض وراحوا يعالجونه. كان يوجد كثير من الناس في ركن وُلُكوت. لا أحد يتحدّث إلى جاك. مال فوق وُلُكوت.

يقول جاك: "أنا آسف. لم أقصد أن ارتكب مخالفة ضدك".

لم يقل وُلُكوت شيئاً. بدا مريضاً جداً.

يقول له جاك: "حسناً، أنتَ البطل الآن. أمل أن تنال جحيماً من السعادة نتيجة لهذا".

يقول سولي فريدمان: "دع الفتى وشأنه".

يقول جاك: "مرحباً سولي. آسف أنني ارتكبت مخالفة ضد فتاك".

ينظر فريدمان إليه فقط.

اتجه جاك إلى ركنه وهو يمشي تلك المشية المضحكة المهتزة وأنزلناه من الحلبة من خلال الحبال وبين طاولات مراسلي الصحف

ثم إلى الخارج في الممر بين الكراسي . أراد كثير من الناس صفع جاك على ظهره . خرج من بين كل ذلك الغوغاء ببرنس الحمام إلى غرفة تغيير الملابس . إنه فوز شعبيّ لولكوت . تلك هي الطريقة التي يتم بها الرهان في الحديقة .

حالما دخلنا غرفة الملابس ، تمدد جاك وأغمض عينيه .

يقول جون : " نريد أن نصل إلى الفندق ونحضر طبيياً " .

يقول جاك : " أنا كلي مرضوض في الداخل " .

يقول جون : " أنا آسف كجحيم يا جاك " .

يقول جاك : " أنا بخير " .

يتمدد هناك وعيناه مغمضتان .

قال جون : " يقيناً أنهم حاولوا ارتكاب خيانة جيدة " .

قال جاك : " صديقاك مورجان وشتاين فلت . لك صديقان

لطيفان " .

يستلقي هناك ، عيناه مفتوحتان الآن . لازالت على وجهه تلك النظرة المسحوبة البشعة .

يقول جاك : " من المضحك كيف يمكنك أن تفكر بسرعة حين

يعني ذلك الكثير من المال " .

يقول جون : " أنت فتى رائع يا جاك " .

يقول جاك : " لا . كان هذا لاشيء " .

استفسار بسيط

في الخارج، كان الثلج أعلى من النافذة. تسللت أشعة الشمس خلال النافذة وتألقت نورها على خريطة معلقة على جدار الكوخ المصنوع من خشب الصنوبر. كانت الشمس عالية وهبط النور على قمة الثلج. شقَّ خندق طريقه على جانب الكوخ المكشوف، وفي كل يوم صافٍ عكست الشمس، المتألقة على الجدار، حرارةً على الثلج وأوسعت الخندق. كان الوقت أواخر مارس. جلس الرائد إلى طاولة قرب الحائط. جلس الرائد لصق الجدار. جلس معاونه إلى طاولة أخرى.

حول عينيّ الرائد ارتسمت دائرتان بيضاوان حيث كانت نظارته الثلجية تحمي وجهه من الشمس على الثلج. كان باقي وجهه محروقاً ثم مدبوغاً ثم محروقاً خلال الدبغة. كان أنفه منتفخاً وتراكمت أطراف من جلد مرتخٍ حيث انتشرت بشور. وفيما كان يتصفح الجريدة، غمس أصابع يده اليسرى في طبق زيت ونشر الزيت فوق وجهه، لاسماً إياه بلطف شديد بأطراف أصابعه. كان حريصاً جداً على تجفيف أصابعه على حافة الطبق حتى لم يكن يوجد عليها سوى شريط رقيق من الزيت، وبعد أن مسد جبهته ووجنتيه، مسد أنفه برفقة شديدة بين أصابعه. حين أن انتهى نهض واقفاً وأخذ طبق الزيت ودخل غرفة الكوخ الصغيرة حيث ينام.

قال للمعاون: "سأنام قليلاً". معاون في ذلك الجيش ليس ضابطاً مكلفاً. "ستنهى كل شيء".

أجاب معاون: "نعم يا سنيور ماجيوري". مال إلى الخلف في كرسيه وتشاءب. أخرج كتاباً بغلاف ورق من جيب معطفه وفتحه؛ ثم وضعه على الطاولة وأشعل غليونه. مال إلى الأمام على الطاولة ليقرأ ونفث دخان غليونه. ثم أغلق الكتاب وأعادته إلى جيبه. كانت لديه أعمال كتابية كثيرة لابد أن ينهيها. إنه لا يمكنه التمتع بالقراءة إلا بعد أن ينهيها. في الخارج، اختفت الشمس خلف جبل ولم يعد نور على جدار الكوخ. دخل جندي ووضع بعض فروع خشب صنوبر، مقطوعة بأطوال غير منتظمة، في المدفأة. قال معاون: "هدوء يا بينين. الرائد نائم".

كان بينين عامل ارتباط الرائد. كان فتى أسمر الوجه، أعدّ المدفأة واضعاً فيها خشب الصنوبر بعناية وأغلق الباب ثم ذهب إلى خلف الكوخ مرة أخرى. استمر معاون بتقليب أوراقه.

صاح الرائد: "توناني".

- "نعم يا سنيور ماجيوري".

- "أرسل بينين إلى الداخل عندي".

نادى معاون: "بينين". دخل بينين الغرفة. قال معاون:

"الرائد يريدك".

مشى بينين عبر غرفة الكوخ الرئيسية نحو غرفة الرائد. طرق

الباب نصف المفتوح. "سنيور ماجيوري؟"

سمع معاون الرائد يقول: "أدخل. وأغلق الباب".

في داخل الغرفة كان الرائد مستلقياً على سريره المثبت بالحائط.

وقف بينين إلى جانب السرير . كان الرائد يستلقي ورأسه يرتكز على حقيبة الظهر التي حشاها بالملابس الاحتياطية ليكون منها مخدة . نظر وجهه الطويل المحروق المزيّن إلى بينين . كانت يده تستقران على البطانيات .

سأل : " عمرك تسع عشرة سنة؟ "

- " نعم يا سنيور ماجيوري . "

- " هل وقعت في أي يوم في الحب؟ "

- " ماذا تعني يا سنيور ماجيوري؟ "

- " في الحب - مع فتاة؟ "

- " كنتُ مع فتيات . "

- " لم أسألك عن هذا . سألتك إذا كنتُ أحببتُ - فتاة . "

- " نعم يا سنيور ماجيوري . "

- " أنتُ تحب هذه الفتاة الآن؟ أنتُ لا تكتب إليها . أنا أقرأ كل

رسائلك . "

قال بينين : " أنا واقع في حبها ، لكنني لا أكتب إليها . "

- " أنتُ متأكد من هذا؟ "

- " أنا متأكد . "

قال الرائد بنفس نغمة الصوت : " توناني . هل تسمعي أنكلم؟ "

لم يصدر أي جواب من الغرفة المجاورة .

قال الرائد : " إنه لا يسمعنا . وأنتُ متأكد تماماً من أنك تحب

فتاة؟ "

- " أنا متأكد . "

نظر إليه الرائد نظرة سريعة . " وأنتُ لستُ فاسداً؟ "

- "أنا لا أعرف ماذا تعني بفساد".

قال الرائد: "حسناً. لاداعي للتظاهر بالتعالي".

نظر بينين إلى أرضية الغرفة. نظر الرائد إلى وجهه الأسمر، من أسفله إلى أعلاه، وإلى يديه. ثم تابع، دون أن يبتسم. "أنت لا تريد حقاً - صمت الرائد. نظر بينين إلى الأرضية. "إن رغبتك الشديدة ليست حقاً -" نظر بينين إلى الأرضية. أمال الرائد رأسه إلى الخلف وأسنده على الحقيبة وابتسم. شعر بارتياح تام: الحياة في الجيش كانت معقدة جداً. قال: "أنت ولد طيب، أنت ولد طيب يا بينين، لكن لا تكن متفوقاً وكن حذراً من ألا يأتي شخص آخر ويأخذك".

وقف بينين ساكناً إلى جانب السرير الخشبي.

قال الرائد: "لا تخف". كانت يده مطويتين على البطانيات.

"لن ألمسك. يمكنك أن تعود إلى فصيلك إذا شئت. لكن الأفضل لك أن تستمر كخادم لي. تكون لديك فرصة أقل لتقتل".

- "هل تريد مني شيئاً يا سنور ماجيوري؟"

قال الرائد: "لا. إذهب وتابع ما كنت تقوم به من عمل. أترك

الباب مفتوحاً حين تخرج".

خرج بينين وترك الباب مفتوحاً. رفع المعاون نظره إليه وهو يمشي على نحو أحرق عبر الغرفة ويخرج من الباب. كان وجهه بينين محمراً ويتحرك بطريقة مختلفة عن طريقة تحركه حين أحضر الحطب للنار. نظر المعاون ورائه وابتسم. دخل بينين بمزيد من حطب المدفأة. سمعه الرائد، وهو مستلقٍ على سريره، ناظراً إلى خوذته المغطاة بالقماش وإلى نظارة الثلج المعلقة على مسمار في

الجدار، يمشي عبر الغرفة. فكّر: الشيطان الصغير، أتساءل إذا
كان قد كذب عليّ.

عشرة هنود

في اليوم التالي للرباع من يوليو، ونك يعود متأخراً من البلدة إلى البيت في العربة الكبيرة مع جو جارنر وعائلته، مر بتسعة هنود سكارى على الطريق. تذكّر أنهم كانوا تسعة لأن جو جارنر أوقف الخيل، وهو يقود العربة في الغسق، وقفز نازلاً إلى الطريق وجرّ هندياً واحداً بعيداً عن خط العجلات. كان الهندي نائماً، ووجهه إلى أسفل في الرمل. جرّه جو إلى الشجيرات وعاد يعتلي صندوق العربة.

قال جو: "يجعل ذلك عددهم تسعة، من هنا حتى طرف المدينة فقط".

قالت السيدة جارنر: "هم هنود".
كان نك في المقعد الخلفي مع ولدي جارنر. كان يلتفت إلى الخلف من المقعد الخلفي ليرى الهنديّ حيث جرّه جارنر على جانب الطريق.

سأل كارل: "هل كان يبلي تاييشو؟"
- "لا".

- "يبدو بنظاله كبنطال يبلي تماماً".

- "يلبس كلّ الهنود نفس النوع من البنطال".

قال فرانك: "أنا لم أراه قط. نزل بابا إلى الطريق وعاد إلى العربة

قبل أن أرى شيئاً. ظننتُ أنه كان يقتل ثعباناً".
قال جو جارنر: "سيقتل كثيرٌ من الهنود أفاعٍ في هذه الليلة على ما أظن".

قالت السيدة جارنر: "هم هنود".
تابعتُ العربية سيرها. تفرّع الطريق من الطريق الرئيسي وصعد التلال. كان جرّ العربية صعباً على الخيل فنزل الأولاد ومشوا. كان الطريق رملياً. التفتَ نك إلى الخلف من قمة التل المجاور لمبنى المدرسة. رأى أنوار بيتوسكي وأنوار هاربر سبرينجز على الجانب الآخر من خليج ليتل ترفيرز. ركبوا العربية ثانية.

قال جو جارنر: "يجب أن يفرشوا بعض الحصى على هذه الأرض". سارت العربية على الطريق عبر الغابة. جلس جو والسيدة جارنر جنباً إلى جنب على المقعد الأمامي. جلس نك بين الولدين. وصل الطريق إلى أرض فضاء.

- "هنا كان المكان حيث داس بابا ظرباناً أمريكياً".

- "كان ذلك في مكان أبعد".

قال جو دون أن يدير رأسه: "لا يشكّل أي فرق أين حدث هذا. أي مكان يصلح فيه الدوس على ظربان كأني مكان آخر".

قال نك: "رأيتُ ظربين ليلة أمس".

- "أين؟"

- "أسفل إلى جانب البحيرة. كانا يبحثان عن سمك ميت على طول الشاطئ".

قال كارل: "ربما كانا راكوبين".

- "كانا ظربين. أظن أنني أعرف الظربان".

قال كارل: "لابد أنك تعرف. أنتَ لديك صديقة هندية".
قالت السيدة جارنر: "كفّ عن الكلام بتلك الطريقة يا كارل".
- "حسناً، إن هُنَّ نفس الرائحة".
ضحك جو جارنر.
قالت السيدة جارنر: "كفّ عن الضحك يا جو. لا أريد أن يتكلم كارل بتلك الطريقة".
سأل جو: "هل لديك فتاة هندية يا نكي؟"
- "لا".
قال فرانك: "لديه يا بابا. برودين ميتشيل هي فتاته".
- "إنها ليست صديقتي".
- "إنه يذهب ليراها كل يوم".
شعر نك، وهو يجلس بين الولدين في الظلام، بخواء وسعادة في نفسه لإغاظته حول برودنيس ميتشيل. قال: "أنا لا أذهب إليها. إنها ليست فتاتي".
قال كارل: "إصغ إليه. إنني أراهما معاً كل يوم".
قالت أمه: "لا يصاحب كارل فتاة، حتى ولا امرأة هندية".
كان كارل هادئاً.
قال فرانك: "ليس كارل جيداً مع الفتيات".
- "أنتَ إخرس".
قال جو جارنر: "أنتَ على ما يرام يا كارل. الفتيات لا توصل الرجل إلى أي مكان. أنظر إلى أبيك".
التصقت السيدة جارنر بجو حين ارتجت العربة. "نعم، هذا ما كنتَ ستقوله. حسناً، أنتَ صاحبتَ كثيراً من فتيات في زمانك".

- "أنا متأكد من أن بابا لم يصاحب هندية حمراء أبداً".
قال جو: "ألا تظن هذا؟ يجب أن تأخذ حذرك حتى تحافظ على
برودي يا نك".

همست زوجته إليه وضحك جو.
سأل فرانك: "على ماذا تضحك؟"
حدّرت زوجته: "لا تقل يا جارنر". ضحك جو مرة أخرى.
قال جو جارنر: "يستطيع نكي مرافقة برودينس. لدي أنا فتاة
جيدة".

قالت السيدة جارنر: "تلك هي طريقة الكلام".
كانت الخيل تجرّ العربة في الرمل بثقل. ساطها جو في الظلام.
- "هيا جرّوا، جرّوها. لا بد أن تجروا بقوة أشد من هذا غداً".
هرولوا إلى أسفل التل الطويل، والعربة ترتج. عند بيت
المزرعة نزل الكل من العربة. فتحت السيدة جارنر الباب، دخلت
البيت، ثم خرجت ويدها مصباح. أنزل كارل ونك الأشياء من
مؤخرة العربة. جلس فرانك على المقعد الأمامي ليقود العربة إلى
الحظيرة وفكّ رباط الخيل. ارتقى نك الدرج وفتح باب المطبخ.
كانت السيدة جارنر تشعل ناراً في الموقد. التفتت وهي تصب
الكيروسين على الحطب.

قال نك: "وداعاً يا سيدة جارنر. شكراً على أخذكم لي".
- "أوه. هذا لا شيء يا نكي".
- "أمضيتُ وقتاً مدهشاً".
- "أحبينا أخذك معنا. ألا تريد البقاء وتناول بعض العشاء؟"
- "الأفضل أن أذهب. أظن أن أبي ينتظري".

- "حسناً أسرع إذن . أرسل كارل إلى البيت ، هل ستسمع؟"
- "حسناً" .

- "تصبح على خير يا نكي" .

- "تصبحين على خير يا سيدة جارنر" .

خرج نك من فناء المزرعة وهبط إلى الحظيرة . كان جو وفرانك
مجلبان .

قال نك : "تصبحان على خير . أمضيتُ وقتاً رائعاً" .

قال جو جارنر : "تصبح على خير يا نك . ألن تبقى وتأكل؟"

- "لا ، لا أستطيع . هل ستخبر كارل بأن أمه تريده؟"

- "حسناً . تصبح على خير يا نكي" .

سار نك حافي القدمين على الدرب عبر المرج أسفل الحظيرة .
كان الدرب أملس والندى بارداً على قدميه الحافيتين . تسلق سياجاً
عند نهاية المرج ، هبط عبر وَهْدَة ، وقد تبللت قدماه في مستنقع
الوحدل ، ومن ثم تسلق غابة الزان الجافة إلى أن رأى أنوار الكوخ .
تسلق السياج ودار ماشياً حتى وصل إلى شرفة المدخل . رأى أباه
من خلال النافذة جالساً إلى الطاولة ، يقرأ في النور المنبعث من
المصباح الكبير . فتح نك الباب ودخل .

قال أبوه : "حسناً يا نكي ، هل كان يوماً جيداً؟"

- "أمضيتُ وقتاً رائعاً يا أبي . كان نهار الرابع من يوليو رائعاً" .

- "هل أنت جائع؟"

- "تماماً" .

- "ماذا فعلتَ بحذائك؟"

- "تركته في العربة في مزرعة جارنر" .

- "تعال إلى المطبخ."

سار أبو نك أمامه بالمصباح. توقف ورفع غطاء صندوق الثلج. دخل نك المطبخ. أحضر أبوه قطعة دجاج باردة على طبق وأبريق حليب ووضعهما على الطاولة أمام نك. وضع المصباح على الطاولة.

قال: "توجد قطعة فطيرة أيضاً. هل يكفيك ذلك؟"

- "عظيم."

جلس أبوه على كرسي بجانب الطاولة المغطاة بقماش مزيت. ألقى ظلاً كبيراً على جدار المطبخ.

- "من فاز في لعبة الكرة؟"

- "بيتوسكي. خمس إلى ثلاث."

جلس أبوه يراقبه وهو يأكل وملاً كأسه من إبريق الحليب. شرب نك ومسح فمه بمنديل المائدة. مدّ أبوه يده إلى الرف ليصل إلى الفطيرة. قطع لنك قطعة كبيرة. كانت فطيرة توت.

- "ماذا فعلت يا بابا؟"

- "خرجتُ لصيد السمك في الصباح."

- "ما الذي اصطدته؟"

- "فرخ فقط."

جلس أبوه يراقب نك وهو يأكل الفطيرة.

سأل نك: "ما الذي فعلته بعد ظهر اليوم؟"

- "قمتُ بنزهة على الأقدام حتى المخيم الهندي."

- "هل رأيت أحداً؟"

- "كان الهنود كلهم في البلدة يسكرون."

- "ألم تر أحداً قط؟"
- "رأيتُ صديقتك برودى."
- "أين كانت؟"
- "كانت في الغابة مع فرانك وُسبيرن. رأيتها صدفة. كانا يمضيان وقتاً طيباً."
لم يكن أبوه ينظر إليه.
- "ماذا كانا يفعلان؟"
- "لم أبقَ هناك لأرى."
- "أخبرني، ماذا كانا يفعلان؟"
قال أبوه: "لا أعرف. سمعتها فقط يركضان من مكان إلى آخر."

- "كيف عرفتَ أنهما هما؟"
- "رأيتها."
- "أظن أنك قلتَ إنك لم ترهما."
- "أوه نعم، رأيتها."
سأل نك: "مَنْ كان معها؟"
- "فرانك وُسبيرن."
- "هل كانا - هل كانا -؟"
- "هل كانا ماذا؟"
- "هل كانا سعيدين؟"
- "أظن هذا."
نهض أبوه عن الطاولة وخرج من باب ستارة المطبخ. حين عاد كان نك ينظر إلى طبقه. كان يبكي.

أمسك أبوه بالسكين ليقطع الفطيرة: "خذ المزيد؟"
قال نك: "لا".
- "يحسن أن تأخذ قطعة أخرى".
- "لا. لا أريد شيئاً منها".
رفع أبوه الطعام عن الطاولة.
سأل نك: "أين كانا في الغابة؟"
- "بعيداً، خلف المخيم". نظر نك إلى طبقة. قال أبوه: "يحسن
أن تأوي إلى الفراش يا نك".
- "حسناً".

دخل نك غرفته، خلع ملابسه، واندس في السرير. سمع أباه
يتحرك متنقلاً من مكان إلى آخر في غرفة المعيشة. استلقى نك في
السرير ووجهه في الوسادة.
فكر: "تحطم قلبي. إذا شعرتُ على هذا النحو لابد أن يتحطم
قلبي".

بعد وهلة سمع أباه ينفخ ليطفيء المصباح ويدخل غرفته. سمع
ريحاً تهبّ بين الأشجار في الخارج وأحسّ بها تدخل باردة من
خلال الستارة. تمدّد لمدة طويلة ووجهه في الوسادة، وبعد وهلة
نسي أن يفكر في برودينس وأخيراً استغرق في النوم. حين استيقظ
في الليل سمع الريح تهبّ بين أشجار الشوكران خارج الكوخ
وأمواج البحيرة تندفع إلى الشاطئ، وعاد لينام. في الصباح،
كانت ريح عاتية تهبّ والأمواج تندفع عالياً على الشاطئ وظل
مستيقظاً لفترة طويلة قبل أن يتذكر أن قلبه تحطم.

طائر كناري لواحدة

مرّ القطار بسرعة هائلة بمنزل طويل من حجر أحمر له حديقة فيها أربع شجرات نخيل كثيفة وضعت تحتها طاولات في الظل. على الجانب الآخر كان البحر. ثم كان هناك قَطْعٌ خلال حجر أحمر وصلصال، وكان البحر عَرَضِيّاً فقط وبعيداً في الأسفل على الصخور.

قالت السيدة الأمريكية: "اشتريته في باليرمو. أمضينا ساعةً واحدة فقط على الشاطئ وكان الوقت صباح يوم أحد. أراد الرجل أن يُدفع له بالدولار فأعطيته دولاراً ونصف. إنه يغرد تغريداً جميلاً حقاً".

كان الجو حاراً جداً في القطار وكان حاراً جداً في المقصورة المضاءة. لم يهب نسيم من النافذة المفتوحة. أسدلت السيدة الأمريكية ستارة النافذة ولم يعد هناك بحر، حتى ولا عرضياً. على الجانب الآخر زجاج، ثم المر، ثم نافذة مفتوحة، وخارج النافذة أشجار مغبرة وطريق مزيت وحقول كروم منبسطة، مع تلال صخرية رمادية خلفها.

تصاعد دخان من مداخن طويلة عديدة - كنا ندخل مارسيليا، وخفف القطار من سرعته وتبع خطأً واحداً من خطوط كثيرة تدخل المحطة. بقي القطار خمساً وعشرين دقيقة في المحطة في مدينة

مارسيليا فاشترت السيدة الأمريكية نسخة من جريدة الديلي ميل ونصف قنينة من ماء إيفيان الصحي. مشت مسافة قصيرة على رصيف المحطة، لكنها بقيت قرب درجات العربة لأن القطار في مدينة كان، حيث توقف مدة اثنتي عشرة دقيقة، بلا إشارة مغادرة وصعدت إليه فقط في اللحظة المناسبة تماماً. كانت السيدة الأمريكية صمماً قليلاً وتخشى أن تكون إشارات المغادرة قد أُطلقت ولم تسمعها.

غادر القطار المحطة في مارسيليا ولم تكن هناك فقط ساحة تحويل الخطوط ودخان المصانع بل، بالالتفات إلى الخلف، مدينة مارسيليا والمرفاً وتلالاً صخرية خلفها وآخر الشمس على سطح الماء. وفيما كان الظلام يحيم مر القطار بيت ريفي يحترق في حقل. توقفت سيارات على الطريق وتناثرت أسرة وأشياء من داخل منزل المزرعة في الحقل. كان كثير من الناس يراقبون البيت وهو يحترق. بعد أن حل الظلام وصل القطار إلى أفينيون. نزل وصعد ناس. عند كشك جرائد اشترى فرنسيون، عائدین إلى باريس، جرائد ذلك اليوم الفرنسية. على أرصفة المحطة وقف جنود زنوج. ارتدوا بزات بنية اللون وكانوا طوال القامة ووجوههم تلمع تحت النور الكهربائي. كانت وجوههم شديدة السواد وقاماتهم أطول من أن تحدق فيها. غادر القطار أفينيون والزنوج يقفون هناك. كان معهم رقيب أبيض قصير القامة.

داخل المقصورة المضاءة سحب عامل القطار ثلاثة أسرة من داخل الجدار وأعدّها للنوم. في الليل استلقت السيدة الأمريكية دون أن تنام لأن القطار كان سريعاً ويسير بسرعة كبيرة جداً وهي

تخاف من السرعة في الليل . كان سرير السيدة الأمريكية هارياً للنافذة تماماً . استقر كِنارى باليرمو، وقد فُردت على قنصة لعلمة قماش، بعيداً عن التيار في الممر المؤدي إلى غرفة حمام المقصورة . أضواء خارج المقصورة نورٌ أزرق، وطوال الليل أندفع القطار بسرعة كبيرة جداً وتعددت السيدة الأمريكية مستيقظة وانتظرت وقوع صدام .

في الصباح، كان القطار قرب باريس، وبعد أن خرجت السيدة الأمريكية من غرفة الحمام، وهي تبدو ممتلئة صحة وفي أواسط العمر وأمريكية بالرغم من أنها لم تنم، وبعد أن نزعت قطعة القماش عن قفص الطير وعلقت القفص في الشمس، ذهبت إلى عربة المطعم لتناول الإفطار . حين عادت إلى مقصورة النوم ثانية، كانت الأسرة قد دُفعت إلى داخل الجدار ثانية وحولت إلى مقاعد، بينما كان الكِنارى يهز ريشه في نور الشمس الذي تخلل النافذة المفتوحة، والقطار أقرب كثيراً من باريس .

قالت السيدة الأمريكية: " إنه يحب الشمس . سيفرد الآن لوهلة قصيرة " .

نفض الكِنارى ريشه وتخلله بمنقاره . قالت السيدة الأمريكية: " لقد أحببت الطيور دائماً . سأخذه إلى الوطن لابنتي الصغيرة . ها هو - إنه يفرد الآن " .

زقزق الكِناري وانتصب الريش على حلقه، ثم هبط بمنقاره وتخلل ريشه مرة أخرى . عبر القطار نهراً ومرّ خلال غابة معنتي بها جيداً جداً . مرّ القطار عبر بلدات كثيرة خارج باريس . سارت في البلدات عربات ترام وكانت يافطات دعاية ضخمة عن بيل

جاردينير ودوبونيت وبيرنو على الجدران المواجهة للقطار. بدت كل الأشياء التي مرّ بها القطار كأنها قبل الإفطار. لبضع دقائق لم أصغ إلى السيدة الأمريكية، التي كانت تكلم زوجتي.
سألت السيدة: "هل زوجك أمريكي أيضاً؟"
أجابت زوجتي: "نعم، كلانا أمريكيين".
- "ظننتكما إنجليزين".
- "أوه. لا".

قلت: "ربما لأنني ألبس حمالة سراويل". كدت أقول علاقة سراويل لكنني غيرتها إلى حمالة سراويل في فمي، لأحافظ على شخصيتي الإنجليزية. لم تسمع السيدة الأمريكية. كانت حقاً صماء تماماً؛ تقرأ الشفاة، ولم أنظر أنا نحوها. نظرت إلى خارج النافذة. تابعت حديثها إلى زوجتي.

كانت السيدة الأمريكية تقول: "أنا مسرورة جداً لأنكما أمريكيان. الرجال الأمريكيون يشكلون أفضل الأزواج. لذلك السبب تركنا القارة، كما تعرفين. وقعت ابنتي في حب رجل من فيفي". سكتت. "إنها ببساطة مجنونان حباً". سكتت مرة أخرى. "أبعدتها، طبعاً".

سألت زوجتي: "هل شفيت منه؟"

قالت السيدة الأمريكية: "لا أظن هذا. ما كانت تأكل أي شيء وما كانت تنام إطلاقاً. بذلت قصارى جهدي لكنها لا تبدو أنها تهتم بأي شيء. إنها لا تهتم بالأشياء. لم أستطع منعها من أن تتزوج أجنبياً". صمتت. "شخص، صديق جيد جداً، أخبرني مرة: 'لا يوجد أجنبي يمكنه أن يكون زوجاً جيداً لأمريكية'."

قالت زوجتي: "لا. لا أظن هذا".

أعجبت السيدة الأمريكية بمعطف زوجتي الخاص بالسفر، وظهر أن السيدة الأمريكية استمرت تشتري ملابسها الخاصة لمدة عشرين سنة حتى الآن من نفس دار تصميم الأزياء في شارع سان هونورية. لديهم قياساتها، وكانت هناك بائعة تعرفها وتعرف ذوقها تختار لها الفساتين وترسلها إلى أمريكا. كانت تصل إلى مكتب البريد قرب الحي الذي تعيش فيه في نيويورك، ولم تكن الرسوم الجمركية باهظة لأنهم يفتحون الفساتين في مكتب البريد هناك ليقيموها وهي دائماً بسيطة المظهر جداً بلا أشرطة ذهب ولا زينات تجعل الفساتين تبدو غالية. قبل البائعة الحالية، وتسمى تيريز، كانت هناك بائعة أخرى تسمى إميليا. كانت هناك هاتان اللتان فقط خلال العشرين سنة. وكان دائماً نفس مصمم الأزياء. الأسعار، مع ذلك، ارتفعت. لكن سعر تحويل العملة، عادلاً ذلك الارتفاع. لديهم قياسات ابتها الآن أيضاً. هي كبرت ولا توجد فرصة كبيرة في تغيير قياساتها الآن".

كان القطار يدخل باريس الآن. والتحصينات سوّيت لكن العشب لم ينم بعد. كانت توجد عربات كثيرة تقف على خطوط سكك الحديد - عربات طعام خشبية بنية وعربات نوم خشبية بنية ستغادر المحطة إلى إيطاليا في الساعة الخامسة في تلك الليلة، إذا كان ذلك القطار ما زال يغادر في الخامسة؛ كتبت على العربات باريس - روما، وعربات، بمقاعد على الأسطح، تنطلق ذهاباً وإياباً إلى الضواحي وفيها ناس على كل المقاعد وعلى الأسطح، في ساعات معينة، إذا كان ذلك هو نفس الطريق الذي لا تزال

تسلكه، وتمرّ حيث كانت الجدران البيضاء ونوافذ البيوت العديدة.
لم يؤكل شيء من الفطور.

قالت السيدة الأمريكية لزوجتي: "الأمريكيون هم أفضل
أزواج". كنتُ أنزل الحقائق. "الرجال الأمريكيون هم الرجال
الوحيدون في العالم الصالحون للزواج".

سألت زوجتي: "منذ متى غادرتم فيفي؟"
- "قبل سنتين من هذا الخريف. إليها، أنتِ تعرفين، سأخذ
الكناري".

- "هل كان الرجل الذي وقعتِ ابنتك في حبه سويسرياً؟"
قالت السيدة الأمريكية: "نعم. كان من عائلة محترمة جداً في
فيفي. كان سيصبح مهندساً. التقيا هناك في فيفي. اعتادا أن
يمشيا مشاوير طويلة معاً".

قالت زوجتي: "أنا أعرف فيفي. كنا هناك في شهر العسل".
- "هل كنتما حقاً؟ لا بد أن ذلك كان جميلاً. لم تكن لدي أدنى
فكرة، طبعاً، بأنها ستقع في حبه".
قالت زوجتي: "كانت مكاناً جميلاً جداً".

قالت السيدة الأمريكية: "نعم. أليست فيفي مكاناً جميلاً؟ أين
أقمتما هناك؟"

قالت زوجتي: "أقمنا في Troi Corone / التيجان الثلاثة".
قالت السيدة الأمريكية: "إنه فندق قديم جميل".
قالت زوجتي: "نعم. كانت لدينا غرفة جيدة وفي الخريف كان
الريف جميلاً جداً".

- "هل كنتما هناك في الخريف؟"

قالت زوجتي: "نعم".
كنا نمر بثلاث عربات محطة. كانت مشظاة ومفتوحة
وأسطحها متدلية إلى الداخل.

قلتُ: "أنظروا. كان هناك حادث".
نظرتُ السيدة الأمريكية ورأتُ العربة الأخيرة. قالتُ: "كنتُ
خائفةً من ذلك تماماً طيلة الليل. لدي إحساس داخلي رهيب عن
أشياء أحياناً. لن أسافر بقطار سريع مرة أخرى في الليل أبداً.
لا بد أن هناك قطارات أخرى مريحة لا تسير بسرعة كبيرة كهذه".
دخل القطار عتمة محطة ليون، ثم توقف واقترب الحمّالون من
النوافذ. ناولتُ حقائبنا من خلال النوافذ، وخرجنا إلى الامتداد
المعتم للرصيف، ووضعتُ السيدة الأمريكية نفسها تحت تصرف
رجل من ثلاثة رجال من شركة كوك للسياحة قال: "لحظة يا
سيدتي، سأبحث عن اسمك".

أحضر الحمّالُ عربة شاحنة وكوم عليها المتاع وقالتُ زوجتي مع
السلامة وقلتُ أنا مع السلامة للسيدة الأمريكية التي عثر الرجل
من شركة كوك على اسمها في صفحة مطبوعة على آلة كاتبة في
رزمة أوراق مطبوعة على آلة كاتبة يدسّها في جيب.

تبعنا الحمّال مع العربة الشاحنة على رصيف الإسمنت الطويل
الممتد إلى جانب القطار. في النهاية، وصلنا إلى بوابة وأخذ رجلُ
التذاكر.

كنا عائدين إلى باريس لرتب إقامتين منفصلتين.

أنشودة ألبية

كان حاراً الهبوط إلى الوادي حتى في الصباح الباكر. أذابت الشمس الثلج عن الزلاجات التي كنا نحملها وجففت الخشب. كان الفصل ربيعاً في الوادي لكن الشمس كانت حارة جداً. سرنا على الطريق إلى داخل جالتراً حاملين الزلاجات وحقائب الظهر. فيها نحن نمرّ بفناء الكنيسة كانت عملية دفن قد انتهت في التو. قلتُ للقسيس حين مرّ بنا بعدما خرج من فناء الكنيسة. "نهارك سعيد". انحنى القسيس.

قال جون: "من المضحك ألا يتكلم قسيس معك إطلاقاً".

- "نظن أنهم يحبون أن يقولوا: 'نهارك سعيد'."

قال جون: "إنهم لا يحبون أبداً".

توقفنا في الطريق وشاهدنا القندلفت يجرف في التربة الجديدة. وقف فلاح بلحية سوداء وجزمة جلدية طويلة إلى جانب القبر. توقف القندلفت عن الجرف واستقام ظهره. أخذ الفلاح ذو الجزمة الطويلة المجرفة من القندلفت وتابع ردم القبر - فارشاً التراب على الأرض بانتظام كرجل ينشر السباد في حديقة. في صباح مايو المشرق بدا ردم القبر منظرًا لاواقعيًا. لم أتخيل أي شخص ميت.

قلتُ لجون: "تخيل أن تُدفن في يوم كهذا".

- "لن أحب هذا".

قلت: "حسناً، يجب ألا نفعّلها".

سرنا على الطريق أمام منازل البلدة إلى التزل. ظللنا نتزلج في سلفريتاً لمدة شهر، وكان جيداً أن تكون في الأسفل في الوادي. في سلفريتاً كان التزلج جيداً، لكنه كان تزلجاً ربيعياً، فالثلج صالح للتزلج فقط في الصباح الباكر وكذلك في المساء. في بقية الوقت كانت الشمس تفسده. كنا كلانا تعيين من الشمس. لم يكن يمكنك الابتعاد عن الشمس. كانت الظلال الوحيدة تلقيها الصخور أو الكوخ المبني تحت حماية صخرة إلى جانب نهر جليدي، وفي الظل كان العرق يتجمد في ملابسك الداخلية. لم يكن باستطاعتك الجلوس خارج الكوخ دون نظارات داكنة. كان مبهجاً أن تحترق حتى تسود، لكن الشمس كانت متعبة. لم يكن باستطاعتك الإحساس بالراحة تحتها. كنتُ مسروراً لبقائي في الأسفل بعيداً عن الثلج. كان الوقت متأخراً جداً من الربيع على الصعود إلى سلفريتاً. كنتُ تعباً قليلاً من التزلج. لقد بقينا لفترة أطول من اللازم. كنتُ أحسّ بطعم ماء الثلج الذي ظللنا نشربه وقد ذاب ساقطاً عن سطح الكوخ الصفيحي. كان مذاقه جزءاً مما أحسّ به نحو التزلج. كنتُ سعيداً لوجود أشياء أخرى إضافة إلى التزلج، وكنتُ سعيداً لكوني في الأسفل، بعيداً عن ربيع الجبل العالي غير الطبيعي، في صباح مايو هذا في الوادي.

جلس صاحب النزول في شرفة مدخل النزول وقد مال بكرسيه إلى الخلف مستنداً على الحائط. إلى جانبه جلس الطباخ.

قال صاحب الفندق: "مرحباً بالتزلج".

قلنا: "مرحباً"، وأسندنا الزلاجات على الحائط وخلعنا حقائب

الظهر.

سأل صاحب الفندق: "كيف كانت الحال في الأعلى فوق؟"

- "شمس / schon . قليلاً من شمس كثيرة جداً" .

- "نعم . هناك كثير جداً من الشمس في هذا الوقت من السنة" .

كان الطباخ يجلس في كرسیه . دخل صاحب النزل معنا وفتح مكتبه وأخرج بريدنا . كانت فيه رزمة رسائل وبعض الصحف .

قال جون: "نشرب بعض البيرة" .

- "حسناً . سنشربها في الداخل" .

أحضر صاحب النزل قنينتي بيرة وشربناها ونحن نقرأ

الرسائل .

قال جون: "يحسن بنا أن نشرب المزيد من البيرة" . أحضرتها

فتاة هذه المرة . ابتسمت وهي تفتح القنيتين .

قالت: "رسائل كثيرة" .

- "نعم . كثيرة" .

قالت: "في صحتكما" ، وخرجت ، آخذة القنينة الفارغة .

- "نسيتُ مذاق البيرة" .

قال جون: "أنا لم أنس مذاقها . فوق ، في الكوخ ، فكرتُ بها

كثيراً" .

قلت: "حسناً . ها نحن نشربها الآن" .

- "لا تقم بعمل أي شيء مدة أطول من اللازم" .

- "لا . ظللنا في الأعلى هناك مدة أطول من اللازم" .

قال جون: "مدة طويلة جداً ولعينة . ليس جيداً عمل شيء مدة

أطول من اللازم" .

تسللت الشمس من النافذة المفتوحة وتلاأت خلال قنيتي البيرة على الطاولة. كانت القنيتان نصف مليئتين. تكونت رغوة قليلة على البيرة في القنيتين، ليس الكثير منها، فقد كانت باردة جداً. ارتفعت أطواقاً في القنيتين حين صببتها في الكأسين الطويلين. نظرت من النافذة المفتوحة إلى الشارع الأبيض. كانت الأشجار إلى جوار الطريق مغبرة. وراءها امتد حقل أخضر وجدول ماء. امتدت أشجار على طول الجدول ومنشرة بعجلة ماء. من خلال الجانب المفتوح رأيت زبد خشب طويلاً ومنشأراً فيه يرتفع وينخفض. لم يظهر أن أحداً يعمل فيها. كانت هناك أربعة غربان تمشي في الحقل الأخضر. جثم غراب واحد على شجرة مراقباً. في الخارج على شرفة المدخل نهض الطباخ عن كرسيه ودخل الردهة المؤدية إلى الخلف إلى داخل المطبخ. في الداخل، تألق نور الشمس خلال الكؤوس الفارغة على الطاولة. كان جون يميل إلى الأمام ورأسه على ذارعيه.

من النافذة رأيت رجلين يرتقيان الدرج الأمامي. دخلا غرفة الشراب. كان أحدهما الفلاح الملتحي بالجزمة العالية. كان الآخر القندلفت. جلسا إلى الطاولة تحت النافذة. دخلت الفتاة ووقفت إلى جانب طاولتهما. لم يبدو أن الفلاح يراها. جلس ويدها على الطاولة. كان يرتدي ملابسه العسكرية القديمة. هناك رقع على مرفقيه.

سأل القندلفت: "ماذا سيكون؟" لم يوله الفلاح انتباهه.

- "ما الذي ستشربه؟"

قال الفلاح: "شبابس".

قال القندلفت للفتاة: "وربع لتر من النبيذ الأحمر".
أحضرت الفتاة الشراب وشرب الفلاح الشنابس. نظر إلى
خارج النافذة. راقبه القندلفت. كان رأس جون على الطاولة. كان
نائماً.

دخل صاحب النزل واقترّب من الطاولة. تكلم بالعامية وردّ
عليه القندلفت. نظر الفلاح إلى خارج النافذة. خرج صاحب
النزل من الغرفة. نهض الفلاح واقفاً. أخرج ورقة نقدية بعشرة
آلاف كرون من محفظة جيب جلدية وفردها. اقتربت الفتاة.
سألت: "هيا؟"
قال: "هيا".

قال القندلفت: "لأدفع ثمن النبيذ".
كرّر الفلاح الكلمة للفتاة. "هيا". دسّت يدها في جيب
مئزرها، أخرجتها مليئة بعملة معدنية وعدت الباقي. خرج الفلاح
من الباب. حالما خرج، دخل صاحب النزل إلى الغرفة مرة أخرى
وتحدّث إلى القندلفت. جلس إلى الطاولة. كان القندلفت
مسروراً. كان صاحب النزل مشمئزاً. وقف القندلفت بعيداً عن
الطاولة. كان رجلاً ضئيلاً بشارب. مال خارج النافذة ورفع نظره
إلى الطريق.

قال: "ها هو يدخل".

- "إلى محل لوروين؟"

- "نعم/ ja".

تحدّثا مرة أخرى ثم تقدّم صاحب النزل نحو طاولتنا. كان
صاحب النزل طويلاً وعجوزاً. نظر إلى جون وهو نائم.

- "إنه تعب تماماً" .
- "نعم، نهضنا مبكرين" .
- "هل تريدان تناول الطعام خلال وقت قصير؟"
قلت: "في أي وقت . ماذا يوجد للأكل؟"
- "أي شيء تريدانه . ستحضر الفتاة بطاقة الأكل" .
أحضرت الفتاة القائمة . استيقظ جون . كانت القائمة مكتوبة
بالخبر على بطاقة وزُلفت في لوحة خشبية .
قلتُ لجون: "يوجد طبق اليوم" . نظر إليها . كان لا يزال
نعساناً .
سألتُ صاحب النزل: "ألا تريد أن تشرب معنا؟" جلس .
قال: "هؤلاء الفلاحون وحوش" .
- "رأينا ذلك الرجل في جنازة ونحن ندخل البلدة" .
- "تلك كانت زوجته" .
- "أوه" .
- "إنه وحش . كل هؤلاء الفلاحين وحوش" .
- "ماذا تعني؟"
- "لن تصدق هذا . لن تصدق ما حدث مع ذلك الشخص" .
- "أخبرني" .
- "لن تصدقه" . قال صاحب النزل للقندلفت: "فرانز . تعال
إلى هنا" . جاء القندلفت ، جالباً قنينة النبيذ الصغيرة وكأسه .
قال صاحب النزل: "حضر السيدان من وايزبادين إيرهوت" .
تصافحنا .
سألتُ: "ماذا ستشرب؟"

هزّ فرانز أصبعه . " لا شيء " .

- " ربع لتر آخر؟ "

- " حسناً " .

سأل صاحب النزل : " أتفهم اللغة العامية؟ "

- " لا " .

سأل جون : " عمّ يدور كل هذا؟ "

- " سيحدثنا عن الفلاح الذي رأيناه يردم القبر، ونحن ندخل
البلدة " .

قال جون : " لا أفهم هذا، على أي حال . كلامه أسرع من أن
أفهمه " .

قال صاحب النزل : " ذلك الفلاح، اليوم أحضر زوجته لتُدفن .
ماتت في نوفمبر الماضي " .

قال القندلفت : " في ديسمبر " .

- " ذلك لا يشكّل فرقاً . ماتت في ديسمبر الماضي ثم أعلم
السلطات المحلية " .

قال القندلفت : " في الثامن عشر من ديسمبر " .

- " على أي حال، لم يستطع إحضارها إلى هنا لتُدفن حتى يذوب
الثلج " .

قال القندلفت : " إنه يعيش على الجانب الآخر من بازناون، لكنه
تابع لهذه الأبرشية " .

سألت : " لم يستطع إحضارها إلى هنا أبداً؟ "

- " لا . إنه لا يستطيع الوصول، من حيث يعيش، على زلاجات
حتى يذوب الثلج . لذلك أحضرها اليوم إلى هنا لتُدفن وحين نظر

القسيس إلى وجهها، لم يرد أن يدفنها". قال للقندلفت: "تابع وقصّ القصة. تحدّث بالألمانية، لا العامية".

قال القندلفت: "كان الوضع سخيلاً مع القسيس. في التقرير إلى السلطات المحلية ماتت من متاعب قلبية. عرفنا هنا أنها تعاني من متاعب قلبية. كان يغمى عليها في الكنيسة أحياناً. لم تحضر منذ وقت طويل. لم تكن قوية لتصعد. حين كشف القسيس عن وجهها سأل أولز: 'هل عانتُ زوجتك كثيراً؟' قال أولز: 'لا. حين دخلتُ البيت كانت ميتة على عرض السرير'."

- "نظر القسيس إليها مرة أخرى. لم يعجبه منظرها. 'كيف أصبح وجهها بهذا الشكل؟' قال أولز: 'لا أعرف'. قال القسيس: 'يحسن أن تعرف'، وأعاد البطانية. لم يقل أولز شيئاً. نظر القسيس إليه. نظر أولز إليه: 'تريد أن تعرف؟' قال القسيس: 'يجب أن أعرف'."

قال صاحب النزل: "هنا موقف جيد. استمع إلى هذا. تابع يا فرانز".

قال أولز: "حسناً، حين ماتت كتبتُ تقريراً إلى السلطات المحلية ووضعتها في السقيفة على قمة كومة الحطب كبير الحجم. حين بدأتُ استعمل الحطب الكبير، كانت متبيسة فاقفتها مستندة على الحائط. كان فمها مفتوحاً فكنتُ حين أدخل السقيفة ليلاً لقطع الحطب الكبير، أعلّق المصباح به". سأل القسيس: 'لماذا فعلتَ هذا؟' قال أولز: 'لا أدري'. 'هل فعلتَ ذلك مرات كثيرة؟' 'كل مرة دخلت فيها السقيفة للعمل في الليل'. قال القسيس: 'كان عملاً خاطئاً جداً، هل أحببتَ زوجتك؟' قال

أولز: 'جا/ نعم، أحببتها. أحببتها كثيراً'.
سأل صاحب المنزل: "هل فهمتما كل هذا؟ فهمتما كل شيء عن
زوجته؟"

- "سمعتُه".

سأل جون: "ماذا بالنسبة إلى الأكل؟"
قلت: "أطلب الطعام". سألتُ صاحب المنزل: "هل ترى بأنها
حقيقية؟"

قال: "أكيد أنها حقيقية. هؤلاء الفلاحون وحوش".
- "أين ذهب الآن؟"

- "ذهب ليشرب في محل زميلي، لووين".

قال القندلفت: "لم يرد أن يشرب معي".

قال صاحب المنزل: "لم يرد أن يشرب معه، بعد أن عرف عن
زوجته".

قال جون: "قل، ماذا بالنسبة إلى الأكل؟"

قلتُ: "حسن".

سباق مطاردة

اشترك وليم كامبيل في سباق مطاردة مع عرض هزلي لأول مرة منذ بيتسييرج. في سباق مطاردة، في سباق دراجات هوائية، يبدأ الراكبون في فترات متساوية للركوب واحداً وراء الآخر. إنهم يركبون بسرعة كبيرة جداً لأن السباق مقصور عادة على مسافة قصيرة وإذا أبطأوا في ركوبهم فإن راكباً آخر يحافظ على خطوه سيعوّض المسافة التي تفصل بينهما عند الانطلاق. حالما يلحق براكب ويتجاوز يخرج من السباق وينزل هو عن دراجته ويترك خط السباق. إذا لم يلحق بأي واحد من الراكبين يكون الفائز هو الذي يقطع أطول مسافة. في معظم سباقات المطاردة، إذا كان يوجد متسابقين اثنين فقط، يلحق به ضمن مسافة ستة أميال. لحق العرض الهزلي بوليم كامبيل في مدينة كانساس.

أمل وليم كامبيل أن يتقدم المشهد الهزلي بمسافة قصيرة حتى يصلوا إلى ساحل المحيط الهادىء. طالما تقدم المشهد الهزلي كرجل في الطليعة فإنه سيتقاضى نقوداً. حين لحق به المشهد الهزلي كان في السرير. كان في السرير حين دخل مدير مجموعة الهزليين غرفته وبعد أن خرج المدير من الغرفة كان يمكن أيضاً أن يبقى في السرير. كان الجو بارداً جداً في مدينة كانساس ولم يكن مستعجلاً للخروج. لم يجب مدينة كانساس. مدّ يده تحت السرير وأمسك

بقنينة وشرب. حسن الشراب من حال معدته. رفض السيد تيرنير، مدير المشهد الهزلي، جرعة شراب.

كانت مقابلة وليم كامبيل مع السيد تيرنير غريبة إلى حد ما. طرق السيد تيرنير إلى الغرفة رأى ملابس على كرسي، وحقيبة ملابس مفتوحة، والقنينة على كرسي إلى جانب السرير، وشخصاً على السرير مغطى كله تماماً بالأغطية.

قال السيد تيرنير: "سيد كامبيل".

قال وليم كامبيل من تحت الأغطية: "لن تطردني". كان دافئاً وأبيض وملتصقاً تحت الأغطية. "لن تطردني لأنني نزلت من دراجتي".

قال السيد تيرنير: "أنت سكران".

قال وليم كامبيل، متكلاً من تحت الملاءات مباشرة ومتحسباً النسيج بشفتيه: "أوه، نعم".

قال السيد تيرنير: "أنت أبله". أطفأ النور الكهربائي. ظل النور الكهربائي مضاءً طيلة الليل. كانت الساعة الآن العاشرة صباحاً. "أنت أبله سكير. متى دخلت هذه البلدة؟"

قال كامبيل، متكلاً لصق الملاءة: "وصلت إلى هذه البلدة في الليلة الماضية". اكتشف أنه يجب التحدث من خلال ملاءة.

سأل: "هل تكلمت في حياتك من خلال ملاءة؟"

- "لا تحاول أن تكون ظريفاً. أنت لست ظريفاً".

- "أنا لا أظن أني ظريف. أنا أتكلم من خلال ملاءة فقط".

- "أنت تتكلم من خلال ملاءة حقاً".

قال كامبيل: "يمكنك أن تذهب الآن يا سيد تيرنير. لم أعد أعمل عندك".

- "أنت تعرف هذا على أي حال".

قال وليم كامبيل: "أنا أعرف الكثير" سحب الملاءة إلى أسفل ونظر إليه: "أنا أعرف ما يكفي لذلك لا يهمني النظر إليك إطلاقاً. أتريد أن تسمع ما أعرفه؟"

- "لا".

قال وليم كامبيل: "جيد. لأنني حقاً لا أعرف أي شيء إطلاقاً. كنت أتكلم فقط". سحب الملاءة إلى أعلى وغطى وجهه ثانية. قال: "أحب الوضع تحت الملاءة". وقف السيد تيرنير إلى جانب السرير. كان رجلاً متوسط العمر بكرش كبير ورأس أصلع وكان أمامه أعمال كثيرة ليقوم بها. قال: "يجب أن تتوقف هنا يا بيلي، وتلقى علاجاً. سأرتب هذا إذا أردت فعل هذا".

قال وليم كامبيل: "لا أريد أن أتلقى أي علاج. لا أريد تلقي أي علاج إطلاقاً. أنا سعيد تماماً. طيلة حياتي ظللت سعيداً تماماً".

- "كم مضى عليك وأنت على هذه الحال؟"

تنفس وليم كامبيل شهيقاً وزفيراً من خلال الملاءة: "ياله من سؤال!"

- "كم مضى عليك وأنت مدمن يا بيلي؟"

- "ألم أقم بعمل؟"

- "أكيد. سألتك للتو كم مضى عليك وأنت مدمن يا بيلي؟"

- "لا أدري. لكنني استعدتُ ذنبي". لمس الملاءة بلسانه.

"أبقيته معي أسبوعاً".

- "الجحيم أبقيته".

- "أوه، نعم. يا ذئبي العزيز. كل مرة أشرب فيها يخرج من الغرفة. إنه لا يحتمل الكحول. الزميل الضئيل المسكين". حرك لسانه مرات عديدة على الملاءة. "إنه ذئب جميل. إنه تماماً كما كان دائماً". أغمض وليم كامبيل عينيه وأخذ نفساً عميقاً.

قال السيد تيرنير: "لابد أن تتلقى علاجاً. لن تمنع بـ كيلى؟ إنه ليس سيئاً".

قال وليم كامبيل: "كيلى، إنه ليس بعيداً عن لندن". أغمض عينيه وفتحهما، محرّكاً رموشه على الملاءة. قال: "أنا أحب الملاءات". نظر إلى السيد تيرنير.

"إسمع. أنتَ تظن أنني سكران؟"

- "أنتَ سكران".

- "لا، لستُ سكراناً".

- "أنتَ سكران وتعاين من هذيان ارتعاشي من الإدمان".

- "لا". لفّ وليم كامبيل الملاءة حول رأسه. قال: "ملاءة

عزيزة". تنفس عليها بلطف. قال: "ملاءة جميلة. أنتَ تحبيني،

أليس كذلك يا ملاءة؟ إنها تحسب مع أجرة الغرفة. تماماً كما في

اليابان. لا، إسمع يا بيبي العزيز المنزلق، لدي مفاجأة لك. أنا

لستُ سكراناً. أنا مخدّر حتى العينين".

قال السيد تيرنير: "لا".

- "ألقِ نظرة". أخرج وليم كامبيل كمّ سترة منامته الأيمن من

تحت الملاءة، ثم أخرج ساعده الأيمن. "أنظر إلى ذلك". على

الساعد، من فوق الرسغ تماماً حتى المرفق، كانت هناك دوائر زرقاء صغيرة حول خروم زرقاء داكنة دقيقة. كانت الدوائر تكاد تمس الواحدة منها الأخرى. قال وليم كامبيل: "ذلك هو التطور الجديد. إنني أشرب قليلاً الآن مرة واحدة بين وهلة وأخرى، لأطرد الذئب من الغرفة فقط".

قال تيرنير: "لديهم علاج لذلك يا 'بيلي المنزلق'".

قال وليم كامبيل: "لا، ليس لديهم علاج لأي شيء".

قال بيرنير: "لا يمكنك الانسحاب بتلك الطريقة يا بيلي".

جلس على السرير.

قال وليم كامبيل: "اعتني بملاءتي".

- "لا يمكنك الانسحاب في مثل عمرك هذا وتدمن على ضخ

نفسك حتى الامتلاء بتلك المادة لأنك ستقع في ورطة".

- "يوجد قانون ضد هذا. إذا كان ذلك ما تعنيه".

- "لا، أعني أنك يجب أن تقاومه وتخرجه".

داعب بيلي كامبيل الملاءة بشفتيه ولسانه. قال: "أيتها الملاءة

العزيزة. أستطيع أن أقبل هذه الملاءة وأرى تماماً من خلالها في

نفس الوقت".

- "كفّ عن الكلام عن الملاءة. لا يمكنك الإدمان على تلك

المادة يا بيلي".

أغمض وليم كامبيل عينيه. بدأ يشعر بغثيان طفيف. عرف أن

هذا الغثيان سيزداد باطراد، دون أن يحس بالراحة منه، حتى يتم

عمل شيء ضده. عند تلك النقطة اقترح على السيد تيرنير أن

يشرب. رفض السيد تيرنير. أخذ وليم كامبيل شرباً من القنينة.

كان إجراء مؤقتاً. راقبه السيد تيرنير. بقي السيد تيرنير في هذه الغرفة مدة أطول بكثير مما يجب أن يبقى فيها، كان لديه الكثير من الأعمال التي يجب أن يقوم بها؛ ومع أنه يعيش يوماً مع أشخاص مدمنين على المخدرات، كان يحس بالرعب من المخدرات، وكان مغرماً جداً بوليم كامبيل؛ لم يرد أن يتركه. كان يأسف جداً من أجله وراوده أمل في أن العلاج قد يساعده. عرف بوجود معالجات جيدة في مدينة كانساس. لكن عليه أن يذهب. نهض واقفاً.

قال وليم كامبيل: "إسمع يا بيبي. لا بد أن أخبرك بشيء. أنت تدعى 'بيبي المنزلق'. ذلك لأنك يمكنك أن تنزلق. أنا أدعى بيبي فقط. ذلك لأنني لا يمكنني أن أنزلق أبداً. أنا لا أنزلق يا بيبي. أنا لا أنزلق. إنها تمسك فقط. في كل مرة أحاول هذا، تمسك بي". أغمض عينيه. "أنا لا أنزلق يا بيبي. إنه لأمر رهيب حين لا تستطيع الانزلاق".

قال 'بيبي المنزلق' تيرنير: "نعم".
- "نعم. ماذا؟" نظر إليه وليم كامبيل.
- "كنت تقول".

قال وليم كامبيل: "لا، لم أكن أقول. لا بد أنها غلطة".
- "كنت تقول عن الانزلاق".

- "لا. لا يمكن أن يكون هذا عن الانزلاق. لكن اسمع يا بيبي، وسأخبرك بسر. تمسك بالملاءات يا بيبي. ابتعد عن النساء والخيل و، و- "توقف". النسور يا بيبي. إذا أنت أحببت خيلاً، ستنال خيلاً - وإذا أنت أحببت نسوراً ستنال نسوراً - "توقف

ووضع رأسه تحت الملاءة .

قال 'بيلي المنزلق' تيرنير: "لابد أن أذهب" .

قال وليم كامبيل: "إذا أنتَ أحببتَ نساء فستنال جرعة . إذا

أنتَ أحببتَ خيلاً -

- "نعم، قلتَ ذلك" .

- "قلتَ ماذا؟"

- "عن الخيل والنسور" .

- "أوه . نعم . وإذا أنتَ أحببتَ ملاءات" . تنفس على الملاءة

ومسح بأنفه عليها . قال: "أنا لا أعرف شيئاً عن الملاءات . لقد

بدأتُ للتو أحبُّ هذه الملاءة" .

قال تيرنير : "يجب أن أذهب . لدي الكثير مما يجب عمله" .

قال وليم كامبيل: "ذلك حسن . الكل لابد أن يذهبوا" .

- "يحسن أن أذهب" .

- "حسناً، إذهب" .

- "هل أنتَ بخير يا بيلي؟"

- "لم أكن سعيداً قط هكذا طيلة حياتي" .

- "وأنتَ بخير؟"

- "أنا بخير . إذهب . سأستلقي هنا لوهلة قصيرة . عند الظهر

تقريباً سأنهض" .

لكن حين حضر السيد تيرنير إلى غرفة وليم كامبيل ظهرراً كان

وليم كامبيل نائماً ولأن السيد تيرنير رجل عرف أي الأشياء في

الحياة قيّمة جداً، لم يوقظه .

اليوم هو الجمعة

ثلاثة جنود رومانيين في حانة في الساعة الحادية عشر ليلاً. توجد
براميل حول الحائط. خلف نضد المشرب وقف بائع خمرة عبري. عيون
الجنود الثلاثة جاחظة قليلاً.

الجندي الأول: جرّبت الأحمر؟

الجندي الثاني: لا، لم أجربه.

الجندي الأول: يحسن أن تجربه.

الجندي الثاني: حسناً يا جورج، سنشرب دورة من الأحمر.

بائع الخمرة العبري: ها كم يا سادة. ستحبونه. [يضع إبريقاً

فخارياً ملاء من أحد البراميل الخشبية] ذلك نبيذ خفيف لذيد.

الجندي الأول: إشرب جرعة منه أنت نفسك [يلتفت إلى الجندي

الثالث المنحني على برميل] ما بك؟

الجندي الثالث: عندي مغص.

الجندي الثاني: كنت تشرب ماء.

الجندي الأول: جرّب بعض الأحمر.

الجندي الثالث: لا أستطيع شرب السائل اللعين. إنه يسبب

حموضة في معدتي.

الجندي الأول: أتيت إلى هنا كثيراً جداً.

الجندي الثالث: يا للجحيم، ألا أعرف هذا؟

الجندي الأول: قل لي يا جورج، ألا تستطيع إعطاء هذا السيد شيئاً يشفي معدته؟

بائع الخمرة العبري: لدي الشيء هنا تماماً.
[يتذوق الجندي الروماني الثالث الكوب الذي خلطه له بائع الخمرة]

الجندي الثالث: هيه، ما الذي وضعته فيه، بعرجل؟
بائع الخمرة العبري: إشرّب ذلك كله أيها الملازم. سيصلح حالك تماماً.

الجندي الثالث: حسناً، لن يسوء حالي أكثر.
الجندي الأول: خذ فرصتك منه. لقد شفاني جورج قبل أيام.
بائع الخمرة العبري: كنت في حال سيئة أيها الملازم. أنا أعرف ما الذي يشفي معدة سيئة. [يشرب الجندي الثالث حتى الثمالة]

الجندي الثالث: يا لعيسى المسيح. [يكشر]
الجندي الثاني: ذلك الإنذار الزائف!
الجندي الأول: أوه. لا أعرف. كان جيداً جداً هناك اليوم.
الجندي الثاني: لماذا لم ينزل عن الصليب؟
الجندي الأول: لم يرغب في النزول عن الصليب. ذلك ليس دوره.

الجندي الثاني: أرني شخصاً لا يرغب في النزول عن الصليب.

الجندي الأول: أوه، جحيم، أنت لا تعرف شيئاً عن هذا. اسأل جورج الواقف هناك. هل ترغب في النزول عن الصليب يا جورج؟

بائع الخمرة العبري: سأخبركم يا سادة، أنا لم أكن هناك،
إنه أمر لم يثر في أي اهتمام.

الجندي الثاني: إسمع، رأيتُ كثيراً منهم - هنا وفي أماكن
أخرى كثيرة. إذا أنتَ دللتني في أي وقت على شخص لا يرغب في
أن ينزل عن الصليب حين يأزف الوقت - أعني حين يحين الحين -
سأسعد معه.

الجندي الأول: أظن أنه كان جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثالث: كان على ما يرام.

الجندي الروماني الثاني: أنتما يا فتيان لا تعرفان عمّ أتكلم.
أنا لا أقول إذا كان جيداً أم لا. ما أعنيه هو حين يأزف الوقت.
حين يبداً وان مسمرته منذ البداية، لن يوجد واحد منهم لن يوقف
هذا إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الجندي الأول: ألم تتابع هذا يا جورج؟

بائع الخمرة العبري: لا. لم أول هذا أي اهتمام أيها الملازم.

الجندي الأول: اندهشتُ من كيفية تصرفه.

الجندي الثالث: الجزء الذي لا يعجبني هو مسمرتهم على
الصليب. أنتَ تعرف، ذلك لا بد أن يؤثر عليك تأثيراً سيئاً جداً.

الجندي الثاني: ليس ذلك هو السيء جداً، كما كان حين
يرفعونهم في البداية. [يرسم إشارات الرفع براحتي يديه معاً] حين
يبداً الثقل بجذبهم إلى أسفل. ذاك حين تصيبهم.

الجندي الروماني الثالث: تسوء حال بعضهم إلى درجة كبيرة
جداً.

الجندي الأول: ألم أُرهم؟ رأيتُ الكثير منهم. أقول لكما، كان

جيداً تماماً هناك اليوم.

[يبتسم الجندي الروماني الثاني لبائع الخمر]

الجندي الثاني: أنت مسيحي متمرّس أيها الفتى الضخم.

الجندي الأول: أكيد، استمر وأمزح معه. لكن إسمع وأنا أقول لك شيئاً. كان جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثاني: ما رأيكم ببعض المزيد من الخمر؟

[يرفع بائع الخمرة أنظاره بانتظار طلباتهم. يجلس الجندي

الروماني الثالث ورأسه منكس. لا يبدو بحالة جيدة]

الجندي الثالث: لا أريد المزيد.

الجندي الثاني: لاثنين فقط يا جورج.

[يضع بائع الخمرة دورق نبيذ، أصغر من الأخير بحجم واحد. يميل

إلى الأمام على نضد المشرب الخشبي]

الجندي الأول: رأيت فتاته؟

الجندي الثاني: ألم أكن أقف إلى جانبها تماماً؟

الجندي الأول: إنها جميلة المنظر.

الجندي الثاني: عرفتُها قبل أن يعرفها. [يغمز لبائع الخمر]

الجندي الأول: كنتُ أراها هنا وهناك في البلدة.

الجندي الثاني: كان لديها الكثير من العمل. لم يجلب إليها

أبداً حظاً جيداً.

الجندي الأول: أوه. إنه ليس محظوظاً. لكنه بدا لي جيداً جداً

هناك اليوم.

الجندي الثاني: ماذا جرى لعصبتة؟

الجندي الأول: أوه. اختفوا. النساء فقط ظلن إلى جواره.

الجندي الثاني: كانوا جمهوزَ جبناءً تماماً. حين رآه **بصمد**
إلى هناك، لم يريدوا أي شيء من هذا.
الجندي الأول: النساء مكثن لصقه تماماً.
الجندي الثاني: أكيد، مكثن لصقه تماماً.
الجندي الأول: رأيتني أزلق الرمح القديم فيه؟
الجندي الثاني: ستقع في متاعب بفعلك ذلك في أحد الأيام.
الجندي الأول: كان أقل ما استطعتُ فعله له. أخبرك بأنه بدا
لي جيداً جداً هناك اليوم.
بائع الخمرة العبرى: يا سادة، تعرفون أن عليّ أن أقفل
المحل.

الجندي الأول: سنشرب دورةً أخرى.
الجندي الثاني: ما الفائدة؟ هذا السائل لن يوصلك إلى أي
مكان. هيا. لنذهب.
الجندي الأول: دورة أخرى فقط.
الجندي الروماني الثالث [يبتعد عن البرميل] لا، هيا. لنذهب.
أحسّ كجسيم الليلة.
الجندي الأول: دورة واحدة فقط.
الجندي الثاني: لا. هيا بنا، سنذهب. تصبح على خير يا
جورج. سجّلها على الحساب.
بائع الخمرة: تصبحون على خير يا سادة. [يبدو قلقاً قليلاً] لا
يمكنكم اعطائي شيئاً على الحساب، أيها الملازم؟
الجندي الثاني: أي جسيم يا جورج! الأربعاء هو يوم الدفع.
بائع الخمرة: حسناً أيها الملازم. تصبحون على خير يا سادة.

[يخرج الجنود الثلاثة من الباب إلى الشارع]

[في الخارج في الشارع]

الجندي الثاني: جورج يهودي حقير مثل بقيتهم كلهم.

الجندي الأول: أوه، جورج رجل جيد.

الجندي الثاني: كل رجل يبدو لك جيداً هذه الليلة.

الجندي الثالث: هيا، لنذهب إلى الثكنة. أحس كجحيم الليلة.

الجندي الثاني: أمضيت وقتاً طويلاً هنا.

الجندي الثالث: لا، ليس ذلك تماماً. إنني أحس كجحيم.

الجندي الثاني: أمضيت وقتاً أطول من اللازم هنا. ذلك كل

شيء.

قصة تافهة

هكذا أكل برتقالة، باصقاً البذور ببطء. في الخارج، كان الثلج يتحوّل إلى مطر. في الداخل، بدا أن الموقد الكهربائي لا يبث حرارة وبعد أن قام عن طاولة الكتابة، جلس على المدفأة. يا للشعور الرائع! هنا، أخيراً، حياة.

مدّ يده نحو برتقالة أخرى. بعيداً في باريس، ضرب ماسكارت داني قرش ضربة طرحت أرضاً في الجولة الثانية. بعيداً في موزوبوتاميا، سقط واحدٌ وعشرون قدماً من الثلج. عبّر العالم في استراليا بعيدة، شحذ لاعبو الكريكيت الإنجليز عصي الوركيت. هناك قصة رومانسية.

قرأ: اكتشف رعاة الفن والأدب المنتدى/Forum. إنه الدليل والفيلسوف والصديق للأقلية المفكرة. قصص قصيرة حائزة على جائزة - هل سيكتب مؤلفوها كتبنا الرائجة غداً؟

ستستمتع بهذه الحكايات الدافئة، المحبوكة محلياً، الأمريكية، نتف من حياة حقيقية عن مزرعة المواشي المكشوفة، في شقة مزدحمة أو بيت مريح، وكلها بروح مرحٍ خفيٍّ صحيٍّ. فكّر: يجب أن أقرأها.

تابع القراءة: أبناء أبنائنا - ماذا بهم؟ من منهم؟ وسائل جديدة يجب اكتشافها لنجد لنا مكاناً تحت الشمس. هل سيتحقق هذا

بالحرب أو بأساليب سلمية؟
أو هل سنرحل كلنا إلى كندا؟
أرسخ اقتناعانا - هل سيزعزها العلم؟ مدنيتنا - هل هي أدنى
من أنظمة الأشياء الأقدم عهداً؟
وأثناء هذا، في غابات يوكاتان المتساقط مائها والبعيدة، علا
صوت خبط فؤوس قاطعي المطاط.
هل نريد رجالاً ضخاماً - أو نريدهم مثقفين؟ خذ جويس. خذ
الرئيس كوليدج. أي نجم ينبغي على طلاب كليتنا أن يستهدفوه؟
هناك جاك بریتون. هناك دكتور هنري فان دايك. هل يمكننا
المصالحة بين الاثنين؟ خذ قضية الشاب ستريلنج.
وماذا عن بناتنا اللواتي يجب أن يسبر غورهن؟ نانسي هوثورن
مضطرة لأن تقوم بسبرها الخاص في بحر الحياة. بشجاعة وتعقل
تواجه المشاكل التي تواجه كل فتاة في الثامنة عشرة.
كان كُتیباً ممتازاً.
هل أنت فتاة في الثامنة عشرة؟ خذ قضية جان دارك. خذ قضية
برناردشو. خذ قضية بيتسي روس.
فكر في هذه الأمور في ١٩٢٥ - هل كانت توجد صفحة مرحة
في تاريخ المتطهرين؟ هل كان يوجد جانبان لـ بوكاهونتاس؟ هل لها
بعد رابع؟
هل الرسم الحديث - والشعر - فن؟ نعم ولا. خذ بيكاسو.
هل للصعاليك آداب سلوك؟ أطلق عنان عقلك ليغامر.
توجد قصص رومانسية في كل مكان. يتكلم كتاب المنتدى عن
صميم الموضوع، مأخوذین بالمرح والبداهة. لكنهم لا يحاولون أن

يكونوا أذكفاء وهم ليسوا طويلي النّفس أبداً.
عش ملء حياة العقل، متعشاً بأفكار جديدة، متشياً
برومانسية الأمور غير العادية. وضع الكتيّب على الطاولة.
وأثناء ذلك، متمدداً على سرير في غرفة مظلمة في المنزل في
ترايانا، استلقى مانويل جارسيا مايرا وأنوب مثبت في كل رئة من
رئتيه، غارقاً في مرض ذات الرئة. كل الصحف في الأندلس
خصصت ملاحق خاصة عن موته، الذي كان متوقفاً منذ بضعة
أيام. رجال وأولاد اشتروا صوراً ملوّنة له بالحجم الطبيعي
ليتذكروه بها، وأضاعوا الصورة التي كانت لديهم له في ذكراهم
ناظرين إلى صورته المطبوعة. مصارعو الثيران تنفسوا الصعداء
تماماً حين مات، لأنه قام دائماً في حلقة المصارعة بحركات لم
يكونوا يستطيعون القيام بها إلا في بعض الأحيان. ساروا كلهم في
المطر خلف نعشه وكان وراء النعش مائة وسبعة وأربعون مصارع
ثيران يتبعونه إلى المقبرة حيث دفنوه في قبر مجاور لقبر جوسيلتو.
بعد الجنازة جلس الجميع في المقاهي بعيداً عن المطر، وبيعت كثير
من صور مايرا الملوّنة إلى رجال لفقوها ودسوها لتختفي في
جيوبهم.



الآن، أنا أتمدّد

في تلك الليلة استلقينا على أرضية الغرفة وأصغيتُ إلى ديدان القز وهي تأكل. تغذّت ديدان القز في أرفف أوراق شجر التوت وطيلة الوقت كنتُ أسمعها تأكل وتسمع صوت تساقط روثها على الأوراق. لم أرغب أنا نفسي في النوم لأنني كنتُ أعيش مدة طويلة وفكرة تراودني بأنني إذا أغمضت عينيّ في الظلام وتركتُ نفسي ترحل، ستفارق روحي جسدي. ظللتُ على ذلك النحو مدة طويلة، منذ أن انفجرتُ ليلاً وشعرتُ بها تخرج مني وتبتعد عني ثم تعود. حاولتُ ألا أفكر فيها، لكن هذه الفكرة بدأت تسيطر عليّ منذ ذلك الوقت، في الليالي، تماماً في لحظة إيوائي للنوم، وكنتُ أتمكن من التغلب عليها فقط بعد بذل جهد كبير جداً. هكذا وبينما أنا الآن متأكد تقريباً من أن روحي لن تغادر جسدي، إلا أنني، في ذلك الصيف، لم أرغب في أن أجري التجربة.

لدي طرق مختلفة في إشغال نفسي وأنا أتمدّد مستيقظاً. كنتُ سأفكر في جدول سمك الطروته الذي اصطدتُ فيه وأنا فتى يافع وأصطاد على طوله كله بحرص شديد في ذهني؛ مصطاداً بحرص شديد تحت كل زنود الخشب، عند كل دورانٍ للضفة، في الحفر العميقة والامتدادات الضحلة الصافية، أحياناً ممسكاً بسمك الطروته وأحياناً مضيقاً إياها. كنتُ سأكفّ عن صيد السمك ظهراً

لتناول غدائي؛ أحياناً على زند خشب فوق الجدول؛ أحياناً على ضفة عالية تحت شجرة، وكنت أكل دائماً غدائي ببطء شديد وأراقب الجدول تحتي وأنا أكل. غالباً ما كان الطعم ينفد مني لأنني كنتُ أخذُ معي عشر ديدان فقط أضعها في علبة تبغ حين أبدأ. حين كنتُ استعملها كلها يكون علي أن أجد ديداناً أخرى، وأحياناً كان من الصعب جداً الحفر في ضفة الجدول حيث تبعد أشجار الأرز الشمس عن المكان ولم يكن هناك أي عشب سوى الأرض الجرداء الرطبة وغالباً ما كنتُ لا أعثر على أي ديدان. مع أنني أجدُ دائماً نوعاً من الأَطعم، لكن، ذات مرة في المستنقع، لم أجدُ أي طعم إطلاقاً فكان علي أن أقطع واحدة من الطرقات أمسكتُ بها واستعملتها كطعم.

أحياناً كنتُ أجد حشرات في مروج المستنقع، في العشب أو تحت نبات السرخس، فأستعملها. كانت هناك خنافس وحشرات بأرجل تشبه سيقان العشب، ودويدات في زنود خشب عفنة قديمة؛ ودويدات بيضاء برؤس سمراء مدبية لم تكن تعلق بالصنارة وتحلل وتتلاشى بالماء البارد، وقرادات خشب تحت زنود خشب حيث أجد أحياناً ديداناً ملتوية على شكل زوايا تنزلق إلى داخل الأرض حالماً يُرفع زند الخشب. ذات مرة استعملتُ سمندراً انتزعته من تحت زند خشب قديم. كان السمندر صغيراً جداً ودقيقاً وخفيف الحركة وذو لون جميل. كانت له أقدام دقيقة حاولتُ أن تمسك بالصنارة، وبعد هذه المرة لم استعمل السمندر قط، مع أنني عثرتُ عليه كثيراً. كما لم استعمل الجداجد، بسبب طريقة تصرفها حيال الصنارة.

أحياناً كان الجدول يجري داخل مرج مكشوف، وفي العشب الجفاف كنتُ أمسك بجنادب واستعملها كطعم وأحياناً كنتُ أمسك بجنادب وأرميها في الجدول وأراقبها تطفو سابحةً إلى الأمام على الجدول ودائرة على السطح والتيار يجرفها ثم تختفي حين ترتفع سمكة طروته . أحياناً كنتُ أصيد في أربعة أو خمسة جداول مختلفة في الليل؛ مبتدئاً من أقرب مصدر لها يمكنني الوصول إليه فأصطادها حتى أسفل الجدول . حين كنتُ أنتهي من الصيد بسرعة والوقت لا يزال مبكراً، كنتُ أصطاد في الجدول نفسه مرة أخرى، مبتدئاً من حيث يصبّ في البحيرة واصطاد متراجعاً إلى أعلى الجدول، محاولاً اصطياد كل الطروته التي فاتتني وأنا أتجه إلى أسفله . في بعض الليالي أيضاً كنتُ أخترع جداول، وكان بعضها مثيراً جداً، وكان الوضع كما لو كنتُ مستيقظاً وأنا أحلم . بعض تلك الجداول لا أزال أتذكرها وأظن أنني اصطدتُ فيها، وهي مختلطة مع جداول أعرفها حقاً . أطلقتُ عليها كلها أسماءً وزرتها بالقطار وأحياناً قطعتُ أميالاً لأصل إليها .

لكن، في بعض الليالي لم أستطع صيد السمك، وفي تلك الليالي كنتُ أبقي ساهراً تماماً فأردد صلواتي مراتٍ عديدة وأحاول أن أصلي من أجل كل الناس الذين سبق وعرفتهم في حياتي . استغرق ذلك وقتاً طويلاً، لأنك إذا أنتَ حاولتَ أن تتذكر كل الناس الذين عرفتهم في حياتك، عائداً القهقري إلى أقصى ما تتذكره في الماضي - الذي كان، بالنسبة إليّ، عليّة البيت حيث ولدتُ وكعكة زفاف أمي وأبي موجودة في صندوق صفيح يتدلى من أحد الأرفف، وفي العليّة، جرار أفاعي وعينات أخرى جمعها أبي حين

كان فتى وحفظها في كحول، الكحول غاطس في الجرار حتى أن ظهر بعض الأفاعي والعينات تعرّضت للهواء فتحوّلت إلى اللون الأبيض - إذا عدت بأفكارك إلى ذلك البعد، أنت تتذكر كثيراً جداً من الناس. إذا صليت من أجلهم كلهم، مردداً: السلام عليك يا مريم و أبانا الذي في السماء لكل واحد، سيستغرق هذا وقتاً طويلاً وأخيراً سيعمّ السور، وعندئذٍ تستطيع أن تنام، إذا كنت حيث يمكنك النوم في نور النهار.

في تلك الليالي حاولت أن أتذكر كل ما وقع لي، مبتدئاً تماماً بما قبل ذهابي إلى الحرب ومتذكراً الماضي ذكري بعد أخرى. وجدت أنني أستطيع العودة بذكرايتي فقط إلى تلك العلية في بيت جدي. ثم انطلق من هناك وأتذكر على هذا النحو ثانية، حتى أصل إلى الحرب.

تذكرت، بعد أن مات جدي انتقلنا من ذلك المنزل إلى منزل جديد صمّمته وبنته أمي. أشياء كثيرة لم تكن ستُنقل أحرقت في الفناء الخلفي وأتذكر تلك الجرار من العلية وهي تُلقى في النار، وكيف فرقت في الحرارة والنار تلتهب عالياً من الكحول. أتذكر الأفاعي تحترق في النار في الفناء الخلفي. لكن لم يكن هناك ناس في تلك الذكريات، فقط أشياء. لم أتذكر من أحرقت الأشياء، وكنت أستمر حتى أصل إلى ناس وعندئذٍ أتوقف وأصلي من أجلهم.

عن المنزل الجديد تذكرت كيف كانت أمي دائماً تنظف الأشياء وتجعلها لامعة جيداً. ذات مرة حين كان أبي في رحلة صيد قامت بتنظيف دقيق في القبو وأحرقت كل ما لا يجب أن يكون هناك. حين عاد أبي إلى المنزل وهبط من عربته البوجي وربط الحصان،

كانت النار ما تزال تشتعل في الطريق إلى جانب المنزل. خرجتُ لأقابلة. ناولني بندقية الرش ونظر إلى النار. سأل: "ما هذا؟" قالت أمي من شرفة المدخل: "كنتُ أنظف التسوية/ القبو يا عزيزي". كانت تقف هناك مبتسمة، لاستقباله. نظر أبي إلى النار وركل شيئاً. ثم انحنى والتقط شيئاً من بين الرماد. قال لي: "أحضر مشط أرض يا نيك". ذهبتُ إلى القبو وأحضرتُ مشط أرض وقلب أبي بحرص شديد الرماد. أخرجَ فؤوساً حجرية وسكاكين قشط حجرية وأدوات لصنع رؤوس السهام وقطعاً من الفخار وكثيراً من رؤوس السهام. كانت كلها قد اسودت وتشققت بالنار. مشطها أبي كلها وأخرجها بحرص شديد ونشرها على العشب إلى جانب الطريق. كانت بندقية الرش في جرابها الجلدي وأكياس الطرائد على العشب حيث تركها حين نزل من عربة البوحي.

قال: "أدخل البندقية والأكياس إلى المنزل يا نيك، وأحضر لي جريدة". كانت أمي قد دخلتُ المنزل. أخذتُ البندقية، التي كانت ثقيلة على الحمل واصطدمتُ برجلي وكيسِي الطرائد وانطلقتُ إلى البيت. قال أبي: "خُذها واحدة واحدة. لا تحاول أن تحمل الكثير جداً مرة واحدة". وضعتُ كيسِي الطرائد على الأرض وأخذتُ البندقية إلى المنزل وأخرجتُ جريدة من الكومة في مكتب أبي. نشر أبي كل الأدوات الحجرية المسودة المشققة على الجريدة ثم لفها. قال: "أفضل رؤوس سهام تكسرتُ إلى قطع صغيرة". دخلتُ المنزل ومعه لفة الجريدة وبقية في الخارج على العُشب مع كيسِي الطرائد. بعد هنيهة، أدخلتها. وإذا أتذكر ذلك، كان هناك

شخصان اثنان فقط ، فصليتُ من أجلهما كليهما .
في بعض الليالي ، مع هذا ، لم أستطيع أن أتذكر حتى صلواتي .
أصل إلى : ' في الأرض كما في السماء ' ثم كان لا بد أن أبدأ من
جديد وأعجز تماماً عن تجاوز تلك العبارة . عندئذ أدرك أنني لا
أستطيع التذكّر فأتحلّى عن ترديد صلواتي في تلك الليلة وأحاول
شيئاً آخر . على هذا النحو في بعض الليالي أحاول أن أتذكر كل
الحيوانات في العالم بالاسم ثم الطيور ثم الأسماك ثم الأقطار والمدن
ثم أنواع الطعام وأسماء كل الشوارع التي أستطيع أن أتذكرها في
تشيكاغو ، وحين لا أعود أستطيع أن أتذكر أي شيء إطلاقاً أصغي
فقط . وأنا لا أتذكر ليلة لا تسمع فيها أشياء . لو كان لدي نور لما
خفتُ أن أنام ، لأنني أعرف أن روحي ستخرج مني فقط إذا كان
الظلام مخيماً . لذلك ، طبعاً ، كنتُ في ليالٍ كثيرة حيثُ يمكنني أن
أحصل على نور فكنتُ أنام عندئذٍ لأنني أكون دائماً متعباً تقريباً
وغالباً ما أكون شديد النعاس . وأنا متأكد من أنني في كثير من
الأوقات أيضاً نمتُ دون أن أدرك هذا - لكنني لم أنم قط وأنا
أدرك هذا ، وفي هذه الليلة أصغيتُ إلى ديدان القز . تستطيع أن
تسمع ديدان القز وهي تأكل بوضوح تام في الليل فأتمدد وعيني
مفتوحتان وأصغي إليها .

كان في الغرفة شخص آخر فقط وكان مستيقظاً أيضاً . أصغيتُ
إليه وهو مستيقظ ، لمدة طويلة . لا يمكنه الاستلقاء هادئاً كما
يمكنني هذا لأنه ، ربما ، ليست لديه ممارسة كبيرة في السهر كما هي
حالي . كنا نستلقي على بطانيات فرشتُ فوق قش وحين كان
يتقلب كان القش يصدر ضجّة ، لكن ديدان القز لم تكن تخاف من

أي ضجة نثيرها وتروح تأكل باطراد. كانت هناك ضجة الليل تصدر من على بُعد سبعة كيلومترات خلف خطوط القتال في الخارج لكنها كانت مختلفة عن الضجة الطفيفة داخل الغرفة في الظلام. حاول الشخص الآخر في الغرفة الاستلقاء بهدوء. ثم تقلب مرة أخرى. تقلبتُ أنا أيضاً، حتى يعرف أنني كنتُ مستيقظاً. كان قد عاش عشر سنوات في تشيكاجو. أخذوه للجندي في سنة ألف وتسعمائة وأربع عشرة حين رجع لزيارة عائلته، فألحقوه بي ليكون جندياً تابعاً لي لأنه يتكلم الإنجليزية. سمعته يصغي، لذلك تقلبتُ مرة أخرى في البطانيات.

سأل: "ألا تستطيع النوم يا سنور تينيتي؟"

- "لا".

- "أنا لا أستطيع النوم كذلك".

- "ما الأمر؟"

- "لا أعرف. لا أستطيع النوم".

- "هل صحتك جيدة؟"

- "أكيد. صحتي جيدة. أنا فقط لا أستطيع النوم".

سألت: "تريد أن تتكلم لوهلة؟"

- "أكيد. عمّ يمكنك الكلام في هذا المكان اللعين".

قلت: "هذا المكان جيد تماماً".

قال: "أكيد. إنه على ما يرام".

قلت: "أخبرني عن الحياة في تشيكاجو".

قال: "أوه. أخبرتك عن كل ذلك في السابق".

- "أخبرني كيف تزوجت".

- "أخبرتُكَ بذلك".

- "هل كانت الرسالة التي استلمتها يوم الاثنين - منها؟"

- "أكيد. إنها تكتب إلي طوال الوقت. إنها تكسب مالاً جيداً من المحل".

- "سيكون لك محل جيد حين تعود".

- "أكيد. إنها تديره جيداً. إنها تكسب كثيراً من المال".

سألتُ: "ألا تظن أننا سنوقظهم، ونحن نتكلم؟"

قال: "لا. إنهم لا يسمعون. على أي حال، إنهم ينامون مثل الخنازير. أنا مختلف. أنا عصبي".

قلت: "تكلم بهدوء. تريد أن تدخن؟"

دخنا بمهارة في الظلام.

- "أنت لا تدخن كثيراً يا سنيور تينيتي".

- "لا. أنا على وشك أن أقطعه".

قال: "حسناً. إنه لا يقدم إليك أي فائدة وأظن أنك بفعلك هذا لن تفتقده. هل سمعتَ عن أعمى لا يدخن لأنه لا يرى الدخان يخرج منه؟"

- "لا أصدق هذا؟"

قال: "أنا نفسي أظن أنها كلها تافهة. سمعتُ هذا في مكان ما. أنت تعرف كيف تسمع عن الأشياء".

هدأنا كلانا وأصغيتُ إلى ديدان القز.

سأل: "أنت تسمع ديدان القز اللعينة تلك؟ تستطيع أن تسمعها تمضغ".

قلت: "هذا مضحك".

- "قل لي يا سنيور تينيتي، هل هناك في الأمر شيء حقاً يجعلك لا تستطيع أن تنام؟ لم أرك قط تنام. لم تنم في أي ليلة منذ أن كنتُ معك".

قلت: "لا أدري يا جون. ساءت أحوالي في أوائل الربيع الماضي وفي الليل يقلقني هذا".

قال: "تماماً مثلي أنا. كان يجب ألا أشارك في هذه الحرب. أنا عصبي المزاج أكثر من اللازم".

- "قد تتحسن الأحوال".

- "قل يا سنيور تينيتي، لأي غرض اشتركت في هذه الحرب، على أي حال؟"

- "لا أعرف يا جون. أردت أن أشارك، حينذاك".

قال: "أردت، ذلك سبب جهنمي".

قلت: "علينا ألا نتكلم بصوت عال".

قال: "إنهم ينامون كالحنازير تماماً. إنهم لا يفهمون اللغة الإنجليزية على أي حال. إنهم لا يفهمون شيئاً لعيناً. ما الذي ستفعله حين تنتهي الحرب وتعود إلى الولايات المتحدة؟"

- "سأجد عملاً في جريدة".

- "في تشيكاغو".

- "ربما".

- "هل قرأت في أي يوم ما يكتبه ذلك الشخص بريسبان؟"

زوجتي تقطعه لي وترسله إلي".

- "أكيد".

- "هل سبق أن قابلته؟"

- "لا، لكنني رأيتُه".

- أود أن ألتقي بذلك الشخص. إنه كاتب جيد. زوجتي لا تقرأ الإنجليزية لكنها تشتري الجريدة تماماً كما كانتُ تفعل حين كنتُ في البيت وتقصّ الافتتاحيات وصفحة الرياضة وترسلها إليّ".

- "كيف هم أطفالك؟"

- "إنهم جيدون. واحدة من البنات في الفصل الرابع الآن. أنت تعرف يا سِنيور تينيتي، لو لم يكن لديّ أطفال لما أصبحتُ مرافقك الآن. لكانوا أبقوني في خط القتال طيلة الوقت".

- "أنا مسرور لأن لديك أطفال".

- "كذلك أنا. إنهم جيدون لكنني أريد ولداً. ثلاث بنات ولا ولد. إنها نعمة جهنمية".

- "لماذا لا تحاول أن تنام؟"

- "لا، لا أستطيع النوم الآن. أنا مستيقظ تماماً يا سِنيور تينيتي. قل: أنا قلق عليك لأنك لا تنام أيضاً".

- "ستحسن الأمور يا جون".

- "تخيّل شاباً مثلك لا ينام".

- "ستحسن حالي. سيستغرق هذا مدة من الزمن".

- "يجب أن تتحسن. لا يتحسن إنسان لا ينام. هل أنت قلق

على أي شيء؟ لديك أي شيء في ذهنك؟"

- "لا يا جون، لا أظن هذا".

- "يجب أن تتزوج يا سِنيور تينيتي. عندئذ لن تقلق".

- "لا أعرف".

- "يجب أن تتزوج. لماذا لا تختار فتاةً إيطالية جميلة تملك الكثير من المال؟ تستطيع الحصول على أي واحدة تريدها. أنت شاب وحزتَ على أوسمة جيدة وتبدو رائعاً. أصبتَ بجرح مرتين".
- "أنا لا أتكلم اللغة جيداً إلى حد كافٍ".

- "أنتَ تتكلمها جيداً. إلى الجحيم بالكلام باللغة. ليس عليك أن تتكلم إليهن. تزوجهن".
- "سأفكر بهذا".

- "أنتَ تعرف بعض الفتيات، أليس كذلك؟"
- "أكيد".

- "حسناً، تزوج واحدة معها مال أكثر. هنا، حسب الطريقة التي رُبينَ عليها، سيكنَ زوجات جيدات".
- "سأفكر في هذا".
- "لا تفكر فيه يا سنيور تينيتي. إفعله".
- "تمام".

- "الرجل يجب أن يتزوج. لن تندم أبداً على هذا. كل رجل يجب أن يتزوج".

قلتُ: "حسناً. لنحاول أن ننام لوهلة".
- "حسناً يا سنيور تينيتي. سأحاول مرة أخرى. لكن تذكر ما قلتُه".

قلتُ: "سأتذكره. الآن لننم لوهلة يا جون".
قال: "حسناً. آمل أن تنام يا سنيور تينيتي".
سمعته يتقلب في بطانياته على القش ثم هدأ تماماً وأصغيتُ إليه يتنفس بانتظام. ثم بدأ يغط. أصغيتُ إليه يغطّ لمدة طويلة ثم

كففتُ عن الإصغاء إليه يغطُّ وأصغيتُ إلى ديدان القز وهي تأكل .
أكلتُ بانتظام ، مخرجةً روثها في أوراق الشجر . أصبح لدي شيء
جديد أفكر فيه فظلتُ مستلقياً في الظلام وعيناي مفتوحتان
وفكرتُ بكل الفتيات اللواتي عرفتهن وأي نوعٍ من الزوجات
سيكن . كان شيئاً مشوقاً جداً التفكير فيهن ولوهلة قتلن صيدَ
الطروته وتدخلن بصلواتي . لكن ، أخيراً عدتُ إلى صيد الطروته ،
لأنني اكتشفتُ أنني أستطيع أن أتذكر كل الجداول وكان هناك دائماً
شيء جديد عنها ، بينما الفتيات ، بعد أن فكرتُ فيهن مرات قليلة ،
انطمسن ولم أستطع أن أستدعيهن إلى ذهني وأخيراً بهتتُ كلهن
وأصبحن كلهن صورة واحدة إلى حد ما فكففتُ عن التفكير فيهن
دفعه واحدة تقريباً . لكنني استمررتُ بصلواتي فصليتُ كثيراً جداً
من أجل جون في الليالي وأن يُبعد صفه عن الخدمة العسكرية
الميدانية قبل هجوم أكتوبر . سررتُ لأنه لم يكن هناك ، لأنه كان
سيسبب قلقاً عظيماً لي . وقد حضر إلى المستشفى في ميلانو ليزورني
بعد عدة أشهر فأصيب بخيبة أمل كبيرة لأنني لم أكن قد تزوجت
بعد ، وأنا أعرف أنه سيستاء جداً لو عرف أنني ، حتى الآن ، لم
أتزوج أبداً . كان سيعود إلى أمريكا وكان مؤمناً تماماً بالزواج
ويعرف أنه سيحل كل شيء .

من أعمال إيرنست همنجواي

روايات :

مهرجان/ الشمس تشرق أيضاً
وداعاً للسلاح
أن تملك وألاً تملك
لمن يدق الجرس
عبر النهر وبين الأشجار
الرجل العجوز والبحر
جزر في التيار
جنة عدن
حقيقي عند النور الأول

قصص وروايات قصيرة

المجموعة الأولى/ في زماننا، ثلوج كليمانجارو وقصص أخرى
المجموعة الثانية/ رجال بلا نساء
المجموعة الثالثة/ حياة فرانسيس ماكومبر القصيرة السعيدة، الفائز
لا ينال شيئاً
المجموعة الرابعة/ قصص بك آدمز
المجموعة الخامسة/ سيول الربيع وقصص عن إسبانيا

كتابات عامة

موت بعد الظهر
تلال أفريقيا الخضراء
وليمة متنقلة
خط جانبي

سراج

الطابور الخامس

رجال بلا نساء

يتميز أسلوب همنجواي بالبساطة المفرطة ، فجملة قصيرة بسيطة التركيب وتكاد تقتصر على تصوير الواقع المحسوس والحركة المرئية ، كما يلعب الحوار دوراً أساسياً في نقل الأجواء المحيطة بالشخص القصصية والروائية ، بل هو يدع الشخصية تقدم نفسها عن طريق تحركاتها وانفعالاتها الظاهرة وما تردده من كلام ، وهنا يبرز دور القارئ في خلق الصورة التي أراد المؤلف تصويرها ، فيشارك في خلق هذه الشخصية مع مبدعها الأصلي : المؤلف .

وهمنجواي مولع بمصارعة الثيران وأبطالها ، وقد كرس سنين عديدة من حياته الأدبية في كتابة « موت بعد الظهر » ، الذي حلل فيه مصارعة الثيران في إسبانيا وخارجها . كما أفرد في نهاية هذا الكتاب عشرات الصفحات في وضع مصطلحات مصارعة الثيران بالإسبانية أمام القارئ العاديّ موضحاً معاني هذه المصطلحات بتفصيل واسع وشرح دقيق على شكل مسرد مفصل . لذلك لا يمكن لأيّ مترجم ، مهما اتسع باعه في ميدان الترجمة ، أن يترجم روايات همنجواي أو قصصه القصيرة المصوّرة لهذه المصارعة دون الرجوع إلى هذا الكتاب الموسوعة في هذا المجال .

في هذه المجموعة أربع عشرة قصة ، تعالج كل منها الخشونة الذكورية التي لا يليتها تأثير المرأة ؛ والقيمات / الموضوعات فيها مألوفة في أعمال همنجواي . وقد أصبحت مجموعة « رجال بلا نساء » حجر الزاوية في أعمال همنجواي ، فبعد أن تبنت رواية « الشمس تشرق أيضاً » أقدامه كروائيّ ذي قوّة استثنائية ، أظهرت هذه القصص أنّ من الممكن ، في نطاق بضع صفحات ، إعادة خلق مشهد كخقيقة مطلقة ، وبّ الحياة في تفاصيل لا تلاحظها سوى عين فنّان فريد الموهبة .

علي مولا

رجال بلا نساء

S.P300



1 2 0 8 3 8

عالم المعرفة

الأكاديمية

لنشر والتوزيع e-mail:alahlia@nets.jo

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان / وسط البلد
خلف مطعم الغريب / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨١٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ • كائناتنا في العام ٢٠٠٣ م
♦ الغلاف : زهير أبو شهاب ، صحن